المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

الأجمل لم يأت بعد

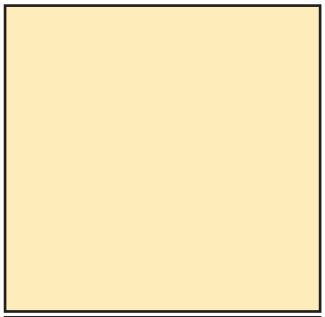
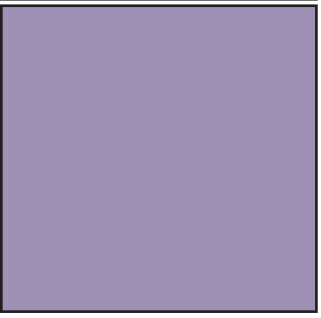

قصص إنسانية
تجسد معاناة الأطفال الفلسطينيين
الناجمة عن الفقدان والخسارة

المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

الأجمل لم يأت بعد

قصص إنسانية
تجسد معاناة الأطفال الفلسطينيين
الناجمة عن الفقدان والخسارة

يناير ٢٠١٣

بتمويل من منظمة اليونيسف في إطار
مشروع حماية حقوق الأطفال في قطاع غزة

هذا الإصدار:

وراء الأرقام والإحصائيات المتعلقة بضحايا الانتهاكات الإسرائيلية من المدنيين الفلسطينيين، أشخاص يحملون داخلهم قصصاً مروعة حول الخسارة والفقدان، لكنهم يحملون أيضاً الكثير من الأمل والطموح. المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان ارتأى ضرورة أن يسلط الضوء على حكايات عينة من أطفال قطاع غزة الذين عاشوا ولا زالوا مرارة الفقدان بفعل شكل من أشكال الانتهاكات المتعددة التي تنفذها إسرائيل وقوات جيشها بحقهم وبحق الممتلكات المدنية التي تمتلكها عائلاتهم.

يستعرض هذا الإصدار تفاصيلاً حية توضح حجم المعاناة التي يعيشها أطفال فلسطينيون تعرضوا بشكل أو بآخر للانتهاكات الإسرائيلية وواجهوا ولا زالوا تبعاتها وآثارها. وعلى نحو خاص، يركز الإصدار على استعراض جملة من التجارب الشخصية التي يعايشها أطفال فلسطينيون منذ سنوات. تجسد هذه التجارب أربعة من نماذج الخسارة والفقدان وهي:

- الخسارة الناجمة عن فقدان أحد أفراد العائلة جراء مقتله على أيدى قوات الاحتلال الإسرائيلي.
- الخسارة الناجمة عن إصابة لحقت بالطفل أو بأحد أفراد عائلته.
- الخسارة الناجمة عن فقدان الأب جراء اعتقاله داخل سجون الاحتلال وحرمان أطفاله من زيارته.
- الخسارة الناجمة عن فقدان المسكن.

لقد عمل المركز على جمع المعلومات المتعلقة بحياة الأطفال الواردة قصصهم خلال هذا الإصدار عبر لقاءات جرت معهم ومع عدد من أفراد عائلاتهم. إن قصص هؤلاء الأطفال ليست إلا جزءاً يسيراً اخترناه كنماذج للدلالة على طبيعة الظروف التي يعيش في ظلها أطفال قطاع غزة، فبينما تنتهي معاناة الشهداء بموتهم، تبدو معاناة الأحياء متواصلة بلا نهاية بفعل ما تخلفه الانتهاكات الإسرائيلية من خسائر تحول دون ان يواصل هؤلاء الأحياء حياتهم بشكل طبيعي ودون صعوبات.

منذ اندلاع انتفاضة الأقصى في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠، وحتى تاريخه، وثق المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان في قطاع غزة وحده مقتل ٩٥٨ طفل فلسطيني وإصابة ٦٣٥٥ آخرين. وعدا عن التعرض لخطر القتل والإصابة، رصد المركز وما زال، الاثار المأساوية التي يعاني منها مئات الأطفال جراء تعرض منازلهم ووحداتهم السكنية للتدمير ما تسبب في تحويلهم إلى مشردين بلا مأوى. كما يعاني عشرات الأطفال من أبناء معتقلي قطاع غزة الذين تواصل إسرائيل احتجازهم داخل سجونها، جراء حرمانهم من زيارة ابائهم خلافاً لقواعد القانون الإنساني الدولي.

لقد أشارت تحقيقات المركز ومعلوماته المتصلة بمعظم الجرائم التي راح ضحيتها أطفال فلسطينيون منذ اندلاع انتفاضة الأقصى في سبتمبر ٢٠٠٠، إلى حقيقة مرة مفادها أن قوات الاحتلال الإسرائيلي تخفق في اتخاذ الاحتياطات اللازمة عند شن الهجمات، ولا تميز بين المدنيين وغير المدنيين أو بين الأهداف العسكرية والأعيان المدنية. ثبت هذا بشكل لا مجال للشك فيه و على سبيل المثال لا الحصر، عبر التحقيقات التي جرت في مقتل ٣١٣ طفلاً سقطوا خلال أيام العداون الذي شنته إسرائيل على قطاع غزة في الفترة من ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ إلى ١٨ يناير ٢٠٠٩، تحت عنوان «الرصاص المصبوب».

وفيما كان العمل جارياً على إعداد هذا الإصدار، شنت إسرائيل على قطاع غزة عدواناً جديداً خلال الفترة من ١٤ إلى ٢٣ نوفمبر ٢٠١٢. وقد أثبتت تحقيقات المركز ومعلوماته التي كان يجمعها على مدار الساعة أن هذا العدوان كان عدواناً على المدنيين، فمن بين ضحايا هذا العدوان البالغ عددهم ١٧٠ شخصاً، هناك ١٠١ مدني، ضمنهم ٣٥ طفلاً. وبالنظر إلى الاثار الكارثية التي خلفها هذا العدوان على سكان قطاع غزة من أعمال قتل وإصابة وتدمير، تتضح جلية حقيقة أن المزيد من المعاناة وآلام الفقدان تنتظر مزيداً من الضحايا.

هذا الإصدار هو باختصار منبر لعدد من الأطفال من ضحايا ممارسات قوات الاحتلال الإسرائيلي، لإيصال أصواتهم للمهتمين في مختلف أنحاء العالم، ممن ينعمون بحياة مستقرة آمنة، وهو سبيلنا لشرح معاناة هؤلاء الأبرياء، وتمكين كل المعنيين من الاطلاع عن قرب على شهاداتهم وقصصهم الزاخرة بآلام الفقدان والملأى بآمال متجددة في حياة أجمل لم تتح لهم بعد فرصة أن يعيشوها.

نأمل أن يساعد هذا الإصدار في فهم الواقع الذي يعيشه الأطفال الفلسطينيون، وأن يسهم في تخطي حدود هذا الواقع تجاه الضغط على دولة الاحتلال الإسرائيلي للوفاء بالالتزامات الواقعة على عاتقها بموجب اتفاقيات حقوق الإنسان، نحو ضمان مساءلة ومحاسبة كل الأطراف المسئولة عن معاناة هؤلاء الأطفال، وسعياً نحو تغيير واقعهم ومنحهم عالماً أفضل هم جديرون به.

الإطار القانوني:

لقد أكدت مختلف هيئات ولجان الأمم المتحدة انطباق اتفاقيات حقوق الإنسان التي تعد إسرائيل طرفاً فيها على الأرض الفلسطينية المحتلة، لكن إسرائيل لا زالت ترفض التزامها بتطبيق هذه الاتفاقيات وتزعم انها غير ملزمة بموجب القانون الدولي بتطبيقها. كما ترفض إسرائيل أيضاً الانطباق القانوني لاتفاقية جنيف الرابعة على احتلالها لكل من الضفة الغربية وقطاع غزة، الأمر الذي يجعل مسئولية تطبيق هذه الاتفاقية تقع بالضرورة على عاتق الأطراف السامية المتعاقدة على الاتفاقية وذلك بموجب المادة الأولى منها.

إن واقع الاحتلال الإسرائيلي المتواصل للأرض الفلسطينية يستدعي وجوب سريان أحكام وقواعد القانون الإنساني الدولي والمعايير المنصوص عليها في الاتفاقيات والعهود الدولية لحقوق الإنسان، بما يوفر الضمانات الأساسية لحماية حقوق الإنسان خلافاً لما تمارسه قوات الاحتلال الإسرائيلي.

ومن جملة الأشخاص الذين تسري عليهم أحكام القانون الإنساني الدولي، الأطفال الفلسطينيون الذين يعتبرون واحدة من أكثر فئات المجتمع الفلسطيني تعرضاً للضرر من بين ضحايا جرائم وانتهاكات الاحتلال الإسرائيلي المتواصل في قطاع غزة والضفة الغربية منذ عام ١٩٦٧.

يوفر القانون الإنساني الدولي للأطفال شكلين من أشكال الحماية، أولهما الحماية العامة المكفولة لهم كونهم أشخاص غير مشاركين في الأعمال القتالية، وثانيهما الحماية الخاصة باعتبارهم من فئة الأشخاص الأكثر ضعفاً في الحروب والنزاعات المسلحة.

ويستوجب تمتع الأطفال بالحماية، ان يستفيدوا من جميع الأحكام الخاصة بالأشخاص المحميين، بما فيها احترام الحياة والسلامة البدنية، حظر أعمال القتل العمد، وحظر العقوبات الجماعية والاقتصاص، علماً بأن القانون الإنساني الدولي، يسعى إلى تحقيق التوازن بين الضرورات الحربية والمتطلبات الإنسانية عبر توفير الحماية اللازمة للمدنيين، حيث يتضمن جملة من المبادىء الأساسية التي وضعت من أجل توفير الحماية للمدنيين.

من بين هذه المبادئ:

مبدأ التمييز الذي يوفر الحماية لغير المقاتلين وللأعيان المدنية

يستوجب هذا المبدأ التفريق بين السكان المدنيين بمن فيهم الأطفال والأعيان المدنية من جهة، وبين المقاتلين والأهداف العسكرية من جهة أخرى، في جميع الأوقات. وفيما يعتبر المقاتلون والأهداف العسكرية أهدافاً مشروعة، فإنه من غير المشروع استهداف المدنيين والأعيان المدنية. ويحظر القانون الإنساني الدولي العرفي الانتهاكات المخالفة لمبدأ التمييز. كما تعد تلك الانتهاكات جرائم حرب وفقاً للمادة ٨(٢)(ب)(١) و(٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، عدا عن أن

انتهاكات مبدأ التمييز تشكل جريمة قتل عمد ومخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف.

مبدأ حظر الهجمات العشوائية الذي ينظم ما يمكن اعتباره هجوماً مشروعاً

يعرف القانون الإنساني الدولي الهجمات العشوائية بأنها: الهجمات غير الموجهة إلى هدف عسكري بعينه، الهجمات التي تستخدم طريقة أو أسلوباً من أساليب القتال التي لا يمكن أن توجه إلى هدف عسكري محدد، والهجمات التي تستخدم أسلوباً من أساليب القتال لا تقتصر الآثار الناجمة عنه على الحدود التي ينص عليها القانون الإنساني الدولي. وتنتهك الهجمات العشوائية مبدأ التمييز، وتعد جرائم حرب بموجب التعريفات الواردة في المادة ٨ (٢)(ب)(١)، (٢)، و(٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. كما تشكل أيضاً جريمة قتل عمد ومخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف الرابعة.

مبدأ أخذ الاحتياطات اللازمة عند شن الهجوم

يفرض القانون الإنساني الدولي من خلال هذه القاعدة اتخاذ كافة الاحتياطات الممكنة لتجنب أن تكون الأهداف عبارة عن مدنيين أو أعيان مدنية. وفي حالة الاشتباه، يجب اتخاذ القرارات لصالح المدنيين والأعيان المدنية. كما يجب الحذر عند اختيار طرق ووسائل الهجوم لتجنب الخسائر العرضية في صفوف المدنيين والأعيان المدنية.

قصص إنسانية

تجسد معاناة الأطفال الفلسطينيين الناجمة عن الفقدان والخسارة

أولاً: الخسارة الناجمة عن فقدان أحد أفراد العائلة

حياة بلا طعم 11
الشهادة الشخصية للطفل فرج عسلية

بعض الأيام لا تنسى 14
الشهادة الشخصية للطفلة بسمة حويج

السعى للنجاح وفاءً لذكرى الأم 17
الشهادة الشخصية للطفل معاذ النجار

الغائب الحاضر 20
الشهادة الشخصية للطفلة هديل النيرب

حنين دائم 22
الشهادة الشخصية للطفلة زهراء أبو طير

إصرار على عدم النسيان 24
الشهادة الشخصية للطفلة سميرة الدغمة

حياة بلا طعم !!

صباح يوم ١١ مارس ٢٠١٢، أطلقت طائرة حربية إسرائيلية صاروخاً باتجاه مجموعة من المواطنين غالبيتهم من الأطفال، كانوا يلهون داخل أرض زراعية، تقع في محيط منازلهم الواقعة بنهاية شارع عسلية، بجباليا البلد، شمال قطاع غزة. أسفر ذلك عن مقتل الطفل أيوب عامر محمد عسلية، ١٣ عاماً، وإصابة آخرين.

فرج عسلية: «إسرائيل قتلت أخي وحرمتنا منه فهل علينا ان نسامحها ؟؟»

كلماته البسيطة غير المنمقة والتلقائية لم تكن أقل بلاغة من دموعه التي سالت طيلة فترة لقائنا معه. إنه فرج عسلية، شقيق الطفل الشهيد أيوب والذي يصغره بعامين اثنين فقط. يبلغ فرج من العمر ١٠ اعوام لكنه بدا أكبر من عمره بسنوات عدة وهو يحدثنا عن تعاطيه مع حقيقة فقدانه لشقيقه الأقرب إلى نفسه بحكم الفارق العمري البسيط بينهما، أيوب.

«أنا وأيوب لم نكن نفارق بعضنا إلا فيما ندر. كنا نلعب معاً، نذهب للمدرسة معاً، نستذكر دروسنا معاً، وننام معاً. لا يغيب عني أيوب أبداً فهو دائماً معي، صورته لا تفارقني، بل إنني أكاد أسمع صوته يرن في أذني في كل ساعة وكل دقيقة».

فرج، هو الأكثر تأثراً بموت أيوب من بين أشقائه الخمسة، حتى أنه أقلع عن عادات عدة كانت تجمعه بأيوب. عندما سألناه عن هواياته اجاب بسرعة ودون تفكير «كرة

القدم»، لكنه استدرك متابعاً فيما بدأت دموعه تسيل: «لم أعد ألعبها الآن. كلما شاهدت كرة تذكرت أيوب وأنه لن يلعب معي مجدداً ولن يشاركني لحظات السعادة التي كنا نعيشها سويةً ونحن نلهو ونسدد رمياتنا.»

صمت فرج وازداد انهمار الدموع من عينيه العسليتين وعلا صوت شهقاته بينما تابع متمتماً: «أيوب كان مرحاً. كان يحب الجميع. قبل استشهاده بيوم واحد جمعنا نحن وأبناء أشقائي ولعبنا طويلاً حتى تأخر الوقت وجاءت أمي إلى غرفتنا وارغمتنا على النوم. يومها ضحكنا كثيراً ومنذ ذلك اليوم لم أضحك كما فعلت آنذاك.»

سنوات عمر فرج المعدودة لم تساعده في استيعاب حقيقة أن أيوب قد مات وأن موته يعني أنه لن يرافقه في طريقه إلى المدرسة، لن يلعب معه كرة قدم، ولن يساعده في تدبير المقالب لأصدقائه وإخوته. «عندما علمت ان أيوب مات لم أصدق أنني لن أراه مجدداً . لم أكن أعرف بالضبط ما الذي يعنيه الموت لكن عندما مات أيوب فهمت انه ذهب وأنه لن يعود لحياتنا مجدداً.»

يشعر فرج أنه بات وحيداً، ورغم أن أشقاءه لا يدخرون جهداً لحثه على قضاء الوقت برفقتهم إلا أنه لا يجد ملاذاً يلجأ إليه فراراً من شعوره بالوحدة وافتقاده لاخيه سوى في النوم. «قبل ان يموت أيوب كنا نفعل الكثير من الأشياء الممتعة. كنت أكره وقت النوم لانه كان يضع حداً لمتعتنا المشتركة ولم نكن ننام إلا مرغمين بناء على إلحاح أمي وأبي. الآن، أصبحت احب النوم وأجد فيه راحتي فهو الشيء الوحيد الذي لا يذكرني بأيوب.»

فقدت عائلة عسلية قبل أيوب ابنين آخرين، محمد، ٢٢ عاماً، قتل في قصف إسرائيلي قبل ٣ أعوام، وحسن، ٥ أعوام، اختطفه مرض السحايا عقب بضع ساعات من الحمى في العام ١٩٩٧. وعلى الرغم من أن العائلة عاشت مرارة فقدان فرد من أفرادها مرتين قبل موت أيوب إلا أن فرج لم يختبر هذه التجربة إلا بموت أيوب. عندما مات حسن، لم يكن فرج قد ولد بعد، وعندما مات محمد، كان فرج يبلغ من العمر ٦ سنوات فقط.

مضى على وفاة أيوب أكثر من ثمانية أشهر، قلما خرج خلالها فرج إلى الشارع فقد بات منذ موت شقيقه وفقاً لأمه عديلة، ٤٤ عام، انطوائياً وشديد الخوف. «لقد تأثر فرج بموت أيوب كثيراً. عاداته وسلوكياته اختلفت بشكل ملحوظ. أصبح شديد الخوف، يرفض الخروج إلى الشارع فهو يخشى أن تقصفه الطائرة كما قصفت أيوب. فرج كان اجتماعياً يقضي جل وقته برفقة أشقائه وأطفال العائلة يلعب ويلهو اما الآن فقد تغير وضعه تماماً. عندما أفتقده أبحث عنه فلا أجده إلا نائماً هنا او هناك.»

فرج لا يتقبل فكرة أن يواصل حياته بشكل عادي، وأن يمارس النشاطات الاعتيادية التي يمارسها عموم الأطفال الفلسطينيين

لأن حياته وعلى حد تعبيره «فقدت طعمها» بموت أيوب. «قبل أيام توجهت وأشقائي لحضور حفلة أقامها الجيران في حينا السكني. قبل أقل من نصف ساعة غادرت الحفل وعدت للمنزل. الحفلة شأنها شأن تفاصيل حياتي كلها، لم يعد لها طعم فأيوب ليس معي.»

يعاني فرج كثيراً منذ موت أيوب فهو يفكر بتفاصيل استشهاده كثيراً. يتساءل رغم صغر سنه عن الأسباب التي دفعت قوات الاحتلال إلى قتله لكنه لا يجد إجابات أو تفسيرات. ويصر فرج على أن حياته لم يعد لها أي طعم منذ قتلت تلك الطائرة أخيه وفصلته عنه «أصعب شيء أواجهه منذ مات أيوب هو أفكاري. في معظم الأوقات التي أكون يقظا فيها لا أتوقف عن استحضار ما جرى. أتذكر القصف وأتذكر أيوب. صورته والدماء تغطيه تطغى على كل الصور الأخرى وسؤال واحد يقفز يومياً إلى ذهني: ما الذي فعله أيوب ليقتلوه ويقطعوه أشلاء كما فعلوا؟.»

عندما طلبنا من فرج كلمة أخيرة يقول فيها ما يحلو له، نظر بعيون دامعة نظرة ثاقبة وقال: «إسرائيل قتلت أخي. حرمتنا منه فهل علينا أن نسامحها على ما فعلته به وبنا.»

بعض الأيام لا تُنسى

بتاريخ ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨، قصفت الطائرات الإسرائيلية منزل المواطن جابر حويج، ٤٦ عاماً، في مدينة غزة، ما أسفر عن مقتله ومقتل ثلاثة من أبنائه، بينهم طفلان، عدا عن إصابة آخرين. قصف المنزل أسفر أيضاً عن تشريد الناجين من سكانه وهم الأم، وثمانية أبناء بينهم أربعة أطفال.

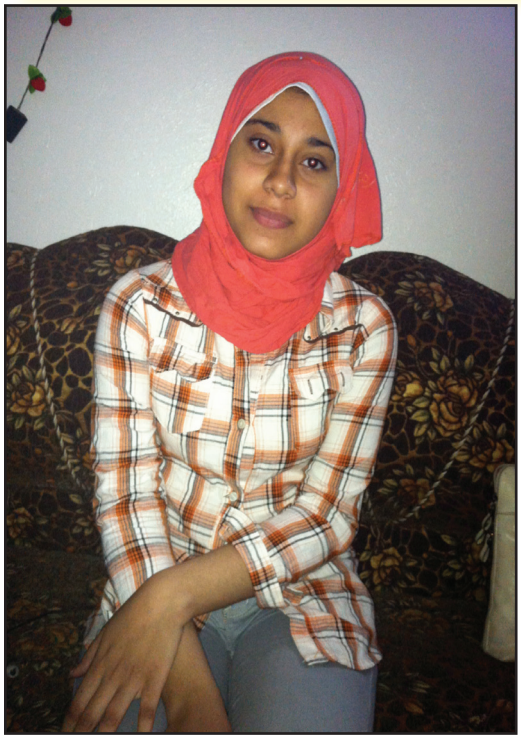

بسمة حويج: «كنت أتمنى لو اقتصر الأمر على الدمار الذي لحق بمنزلنا لكن الكارثة التي حلت بنا كانت أكبر من كل تصوراتي»

٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ ... يوم لن تنساه بسمة حويج، ١٥ عاماً، ففي هذا اليوم عادت بسمة من مدرستها لتجد منزل العائلة ركام. القصف الإسرائيلي الذي طال المنزل تسبب في تدميره بشكل كلي وانهياره على من تصادف وجودهم بداخله من أبناء العائلة لحظة القصف. «لن أنسى أبداً ذلك المشهد.» باشرت بسمة كلامها وتابعت: «عدت من المدرسة وصدمني ما شاهدته. كان عشرات الأشخاص يتجمهرون في المكان. اقتربت قدر المستطاع فرأيت بدلاً من منزلنا الأنقاض والركام.»

بسمة، لم تكن تتخيل أن يتعرض منزلهم للقصف، وعندما شاهدت أنقاض المنزل لم تفكر ولو للحظة أن أحداً من أفراد العائلة قد قتل. «لم يخطر ببالي ولو للحظة أنني سأفقد أبي وثلاثة من أشقائي. كنت أتمنى ان يقتصر الأمر على الدمار الذي لحق بمنزلنا لكن الكارثة التي حلت بنا للأسف كانت أكبر من كل تصوراتي.» تحدثت بسمة وأضافت بصوت خافت: «لا يمكنني أبداً ان أصف ما شعرت به عندما شاهدت جثامين أبي وأشقائي داخل أحد

المنازل القريبة من منزلنا. كل الكلمات وكل اللغات لا يمكنها ان تعبر عن مشاعري في تلك اللحظة ولا عن مشاعري كلما تذكرت ذلك المشهد. حزن، غضب، خوف، قهر، مشاعر كثيرة انتابتني، بعضها ما زال معي حتى الان.»

كانت عائلة حويج تحيا حياة بسيطة خالية من التعقيد لكن فقدان رب العائلة وثلاثة من أبنائه جعل من واقع هذه الأسرة واقعاً مراً وبالغ الصعوبة، وهو ما أوضحته بسمة قائلة: «حياتنا قبل قصف منزلنا كانت حياة جميلة. كنا أسرة عادية. كنا سعداء رغم فقرنا. كان أبي يعمل ويصل الليل بالنهار ليوفر لنا كل احتياجاتنا. اليوم نحن نعاني معاناة مضاعفة لأننا فقدنا عماد أسرتنا. فقدنا الأب وفقدنا معه أي إحساس بالأمن أو الأمان.»

ولا تقتصر معاناة الناجين من أبناء عائلة حويج على فقدان الأب وثلاثة من أبناء العائلة فقط، فالقصف الإسرائيلي الذي دمر منزل العائلة حول أفرادها إلى مشردين بلا مأوى. وبالنظر للأوضاع المادية الصعبة التي تعيشها هذه الأسرة، تتضاءل إمكانيات بناء منزل جديد يلم الشمل. «تسبب القصف في تدمير منزلنا كلياً. تنقلنا منذ ذلك الوقت حتى اللحظة الحالية بين عدد من المنازل المؤجرة أي أننا لم نذق طعم الاستقرار منذ قصفت طائرات الاحتلال منزلنا.» تحدثت بسمة وتابعت: «حياتنا اختلفت بشكل كلي منذ وفاة أبي وإخوتي. لم تدخل الفرحة بيتنا لأننا باستمرار نشعر بأن شيئاً ما ينقصنا. لم تكن حياتنا قبل القصف مثالية لكننا كنا سعداء. بيتنا كان كبيراً وأبي كان حنوناً يهتم بنا ويرعانا.»

لقد تراجع مستوى بسمة الدراسي خلال العامين التاليين لمقتل والدها وأشقائها فقد اعتادت بسمة على مراجعة دروسها وكتابة واجباتها المدرسية بمساعدة والدها، وبموته فقدت بسمة سندها الذي كان يحثها دوماً على التفوق، عدا عن أن هدم المنزل وتشريد أفراد العائلة أفقدهم أيضاً الاستقرار. «كان أبي يدعمني باستمرار وكان يشجعني دوماً لاكون متفوقة وأتقدم دراسياً. كان يساعدني في مراجعة دروسي وبكتابة واجباتي وعندما فقدته تراجع مستواي الدراسي. كنت كلما أفتح كتاباً لأدرس أتذكره وأبكي. لم يكن لدي قدرة على التركيز لكنني بتشجيع من أشقائي وأمي عدت مؤخراً لما كنت عليه من تفوق.» اوضحت بسمة وقالت: «أنا الان أدرس جيداً ومصرة على التفوق والحفاظ على مستواي ليكون أبي سعيداً وراضياً عني. سأفعل كل ما بوسعي وأجتهد لأكون كما كان دوماً يريدني أن أكون.»

تزوج الشقيق الأكبر لبسمة البالغ من العمر ٢٧ عاماً، بعد مقتل والده وأشقائه الثلاثة وهو حالياً المسئول عن عائلته التي تضم إلى جانب زوجته وطفلتيه، أمه، وسبعة أخوة. ولا يمكن وصف الوضع الراهن للعائلة بالمستقر فحتى اللحظة، لم تف وكالة الغوث بوعودها المتعلقة ببناء منزل جديد للعائلة بدلاً عن المنزل الذي دمره القصف الإسرائيلي.

محمود حويج، ٢٥ عاماً، هو أيضاً أحد أشقاء بسمة الذين نجوا من القصف وقد تحدث عن معاناتهم قائلاً: «بعد مقتل أبي مباشرة جلسنا انا وأخوتي سوياً. أذكر جيداً تعابير وجه بسمة وهي تتمتم: لقد قتلوا بابا. لمن سأقول بابا؟ في تلك

اللحظة شعرت بالعجز والألم، وشعرت أيضاً بالخوف مما هو قادم. أحاول جاهداً أنا وشقيقي الأكبر أن نسد جزءاً من الفراغ الذي خلفه موت أبي لكن الأمر لم يكن سهلاً. ما واجهناه كأسرة صعب للغاية. نحن نتحدث عن فقداننا الأب وهو رب الأسرة والمسئول الأول عنها، وفقدان ثلاثة أشقاء، وفقدان المأوى. هذا كله حدث في لحظة واحدة. تحولنا إلى أيتام وبت أنا وشقيقي الأكبر جبر مسئولين عن هذه الأسرة التي لا مأوى لها. ما واجهناه لا يوصف لكننا صابرون وسنصمد وسنعمل دوماً على تحقيق آمال والدنا وأحلامه. كان يريد لنا الأفضل والأفضل هو ما سنسعى للوصول إليه رغم كل الصعوبات ورغم آلام الفراق.»

تعتقد بسمة وأشقاؤها أن تجاهل ما حدث هو السبيل الأمثل ليواصلوا حياتهم لكنهم في ذات الوقت يدركون حقيقة أن جرحهم سيظل مفتوحاً وانهم أبداً لن ينسوا ما جرى. «كلما تذكرنا الحادث كلما أصبح الألم أكبر لذلك نحاول جاهدين أن نتجاهل ما جرى رغم يقيننا بأن جرحنا لن يتوقف يوماً ما عن النزيف.» تحدث محمود وأضاف: «لقد زوجنا اخي الأكبر بعد عام واحد من مقتل أبي على امل ان تدخل الفرحة بيتنا. هل فرحنا ؟؟ أقولها لكم بكل صراحة: لا. لم نشعر بطعم الفرحة الحقيقي منذ قتل أبي وأشقائي. نحن ندعي الفرح لكننا لا نعيشه. نبذل جهدنا لنتعايش مع واقعنا لأنه ما من مفر من ذلك فالحياة رغم الام الفقدان تستمر. نحن ندرك هذه الحقيقة وقد اتخذنا قرارنا بأن نجعل من هذه الالام وقوداً يدفعنا للأمام وليس للخلف.»

بسمة، بدت أكبر بكثير من سنوات عمرها الخمسة عشر وهي تتحدث عن أسباب استهداف منزلهم قائلة: «منزلنا كان يقع بين موقعين مستهدفين أحدهما مركز للشرطة والثاني موقع تدريب، لكن ذلك لا يبرر لإسرائيل إقدامها على قصف المنزل وقتل أبي وأشقائي. كلنا نعلم ان إسرائيل تمتلك من القدرات والتقنيات ما يمكنها من تحديد أهدافها بدقة. لقد قصفوا الموقعين وقصفوا منزلنا معهم وهم بالتأكيد يعلمون بانه منزل سكني يقطنه مدنيون.» صمتت بسمة وأضافت ودموعها تسيل على وجنتيها: «لماذا فعلوا بنا ذلك؟ لماذا قتلوا أبي؟ ما ذنب أشقائي الذين قتلهم القصف؟ ما ذنبنا نحن الذين حولنا قصفهم إلى أيتام ومشردين بلا مأوى؟»

السعي للنجاح وفاءً لذكرى الأم !

بتاريخ ١٠ يناير ٢٠٠٩، بدأت قوات الاحتلال المتمركزة داخل الشريط الحدودي بإطلاق قذائف تجاه منازل المواطنين، شرقي بلدة خزاعة، شرقي خان يونس. سقطت إحدى القذائف داخل منزل المواطن أحمد قديح، المكتظ بالسكان، ما أدى إلى مقتل ابنة أخيه المواطنة حنان فتحي قديح «النجار»، ٤١ عاماً، وإصابة ثلاثة من أطفالها، إضافة إلى حوالي ١٠ آخرين من سكان المنزل بحالات اختناق، علماً، أنها كانت غادرت منزلها في حي النجار، القريب من الشريط الحدودي، ولجأت إلى منزل يعود لعمها ووالدها في حي آل قديح بخزاعة باعتقادها أنه أقل خطراً من منزلها.

معاذ النجار: « إسرائيل قتلت أمي دون ذنب وحرمتنا منها وهذا أمر لن ننساه ما حيينا »

بدت عائلة ماجد النجار، ٤٣ عاماً، منذ اللحظة الأولى لزيارتنا منزلها، عائلة نموذجية. منزل العائلة صغير ومتواضع لكنه منظم لدرجة تلفت الأنظار وتدفع للتساؤل: كيف تسير أمور هذا البيت على هذه الدرجة الظاهرة من المثالية رغم عدم وجود الأم؟

يتعاون أفراد العائلة المكونة حالياً من الأب ماجد، وأبنائه أحمد، ١٨ عاماً، معاذ، ١٥ عاماً، حنين، ١٢ عاماً، وآية، ١٠ اعوام، في تدبير شؤون المنزل والقيام بمختلف الأعباء والواجبات البيتية. لا يقصر أي منهم في أداء ما عليه من واجبات، ولا يترددون في أن يكملوا أدوار بعضهم البعض ليبدو منزلهم كما بدا لنا، منظماً، نظيفاً، وشديد الدفء. «أتعاون أنا وأبي وأخوتي يومياً ليبدو منزلنا بأفضل هيئة. أمي كانت دائمة الاهتمام بالمنزل ونظافته ونحن بعد غيابها، نقوم بما علينا ليكون المنزل وأموره كما كانت تحب لها أن تكون.» تحدث معاذ، ١٥ عاماً، وأضاف: «أعمال المنزل اليومية لا تعد مشكلة بالنسبة لنا. يقوم أبي بالجزء

الاكبر والأصعب لكننا نتعاون جميعنا ونساعده قدر استطاعتنا ويمكن القول أن السيطرة على شؤون المنزل هي أمر تجاوزناه. شوقنا لأمي التي غابت عنا فجأة هو ما لا نستطيع تجاوزه.»

على نحو خاص، يفتقد معاذ مذاق الجلسات العائلية التي كانت تجمعه وإخوته مع امهم ووالدهم مساء كل يوم، فعلى الرغم من أن أفراد العائلة يحافظون على هذا التقليد ويجتمعون يومياً قبل نومهم، يتسامرون ويتجاذبون أطراف الحديث، إلا ان هذه الجلسات لم تعد كما كانت سابقاً منذ تغيبت عنها الأم. «أفتقد أمي بشدة. أشتاق لجلساتنا العائلية اليومية بحضورها. كنا نجتمع مساء كل يوم قبل النوم أنا وأمي وأخوتي وأبي. نتحدث عما مررنا به خلال اليوم. نستمع لبعضنا البعض ونمزح. ما زلنا نجتمع يومياً لكن جلساتنا دون أمي بات لها طعم مختلف.» تحدث معاذ وأضاف: «حضور امي كان مميزاً. كانت تضفي على جلساتنا مذاقاً خاصاً بروحها المرحة ومزاحها. كانت دائمة التوجيه والنصح لنا بأسلوب محبب قريب من الأنفس. غياب أمي لا يمكن تعويضه ولا بأي شكل من الأشكال.»

أفراد العائلة، فقدوا أيضاً منزلهم فقوات الاحتلال الإسرائيلي أقدمت في بدايات شهر يناير ٢٠٠٩، خلال عمليتها العسكرية على قطاع غزة التي أطلقت عليها اسم «الرصاص المصبوب»، على تدمير عدد من المنازل الواقعة قرب الشريط الحدودي بعد تحذير سكانها. ماجد وزوجته حنان آثروا انذاك أن يغادروا منزلهم خوفاً على أطفالهم فتركوا المنزل بما فيه من مقتنيات وتوجهوا إلى منزل تعود ملكيته لوالد حنان بحثاً عن الأمن. تعرض المنزل الذي لجأوا إليه للقصف الإسرائيلي ما أدى إلى مقتل حنان، وإصابة عدد من أطفالها. «لقد تركنا منزلنا عندما علمنا أن جنود الاحتلال يستهدفون منطقتنا. هربنا إلى منزل جدي الذي يقع في وسط خان يونس معتقدين أنه آمن لكن القصف الإسرائيلي لاحقنا وقتل أمي.» تحدث معاذ موضحاً وأضاف: «إسرائيل قتلت أمي بلا ذنب.»

معاذ، هو الوحيد بين أشقائه الذي زار أنقاض منزل العائلة المدمر. لم يقدم أي من أخوته على التوجه لتلك المنطقة اما هو فيزورها بين الحين والآخر. «زرت أنقاض منزلنا أكثر من مرة. إخوتي رفضوا ذلك لكنني ذهبت لأنني شعرت برغبة قوية في رؤية ما جرى.» قال معاذ وأضاف: «انتابني شعور غريب عندما زرت انقاض منزلنا لأول مرة. من المؤلم أن ترى المنزل الذي شهد اجمل ذكرياتك مجرد ركام والأكثر إيلاماً أنك عندما تسأل نفسك عن السبب لا تجد إجابة.»

يرفض الأب ماجد فكرة أن يتزوج مجدداً ويعتبرها أمراً غير وارد مطلقاً خاصة أنه كان قد رضخ لرغبة أقاربه وذويه وتزوج عقب مقتل حنان لكن زواجه لم يستمر أكثر من شهور معدودة. تحدث عن الأمر باقتضاب قائلاً: «تزوجت من أجل أبنائي وانفصلت أيضاً من أجلهم. هذا كل ما يمكنني قوله». صمت ماجد قبل أن يتابع ونظراته تتنقل بين أبنائه: «المسئولية صعبة وكبيرة لكنني قررت أن أختار راحة أبنائي. لقد حاولت مرة وفشلت. من الصعب جدا أن تجد أماً بديلة لأبنائك. استحق الأمر ان أحاول مرة لكنني لن أكررها. حياتنا تسير على ما يرام رغم الصعوبات. أنا ألعب دور

الأم والأب في ذات الوقت وسأواصل لعب هذين الدورين لأنني قررت أن أحيا ما تبقى لي من عمر من أجل أبنائي ومن أجل أن تتحقق أحلام والدتهم فيهم.»

كانت حنان تحلم بأن ترى ابنها أحمد مهندساً. وكانت تتمنى أن يصبح معاذ طبيباً. نجح أحمد مؤخراً في الالتحاق بكلية الهندسة فيما يجّد معاذ للحفاظ على مستوى دراسي يمكّنه مستقبلاً من تحقيق حلم أمه. «أدرس بشكل جاد وأمامي حلم واحد أتمنى أن أحققه: أن أصبح طبيباً كما كانت أمي تتمنى.»

يصر معاذ وأشقائه على أن يواصلوا حياتهم رغم آلام فقدانهم لأمهم ويعتقدون بأن نجاحهم ووصولهم لما كانت أمهم تصبو إليه هو سبيلهم الوحيد للوفاء لذكراها. «مقتل أمي هو أكبر صدمة واجهناها في حياتنا. لم نكن نتخيل يوماً الحياة بدونها. كنا في البداية نعتقد أن الحياة لن تستمر وأنها ستتوقف فأمي ليست هنا. تمكنا من تجاوز الصدمة لتكون أمي مرتاحة. نحاول أن نكون سعداء لأنها كانت تسعى دوماً لسعادتنا وراحتنا.» تحدث معاذ واستدرك مختتماً: «تجاوز صدمة مقتل أمي لا يعني أبداً أننا سننسى القاتل. إسرائيل قتلت أمي دون ذنب وحرمتنا منها وهذا أمر لن ننساه ما حيينا.»

الغائب الحاضر!!!

بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠١١، وفي جريمة جديدة من جرائم القتل خارج إطار القانون؛ قتلت قوات الاحتلال خمسة من قادة لجان المقاومة الشعبية وذراعها العسكري، في مدينة رفح، جنوبي القطاع، عندما أطلقت الطائرات صاروخين تجاههم بينما كانوا يتواجدون في حديقة منزل يقع في منطقة الشعوت بلوك (J) من مخيم اللاجئين في رفح. أسفر القصف عن مقتل ستة مواطنين، خمسة منهم من قادة وعناصر لجان المقاومة الشعبية، والسادس أبن أحدهم. بين القتلى المواطن كمال عوض محمد النيرب، ٤٣ عاماً.

هديل النيرب: « أبذل قصارى جهدي ليعود مستواي الدراسي كالسابق. أبي كان يريد أن يراني طبيبة وأنا سأضع حلمه هدفاً أسعى لتحقيقه »

تأثرت هديل، ١٤ عاماً، باستشهاد والدها تأثراً شديداً، حيث تراجع مستواها الدراسي بشكل حاد دفع ذويها للتعاون والتنسيق مع مدرسيها لتلافي هذا التراجع وآثاره، فهديل طالبة متفوقة ومجدّة ولم يكن التحصيل الدراسي بالنسبة لها مشكلة حتى استشهد والدها.

تتحدث هديل بلا حرج عن تراجع مستواها الدراسي وتقر بتراجعها مبدية إصراراً كبيراً على أن تعود لما كانت عليه من تفوق وتقول: «أعرف أنني تراجعت دراسياً. كنت متفوقة ودوماً كنت الأولى بين زميلاتي لكن منذ قتل القصف أبي اختلت كل الموازين. لم أعد قادرة على التركيز او الدراسة. أتألم لأن أبي كان يساعدني في دراستي وأذكره كلما بدأت أدرس.»

صمتت هديل قبل أن تتابع وعيونها تدمع: «أبذل قصارى جهدي ليعود مستواي الدراسي كما كان. أبي كان يتمنى أن يراني طبيبة وأنا سأضع حلمه هدفاً أسعى لتحقيقه.»

تصف هديل حياتهم قبل القصف الإسرائيلي الذي قتل الأب وحرم أطفاله منه بالرائعة وتقول: «كانت حياتنا رائعة وممتعة للغاية. كان لدينا الكثير من النشاطات المشتركة. لقد اعتاد أبي على أن يجلس معنا، يحدثنا، يمازحنا، وكنا نتسلى سوياً.» بدت الطفلة الخجولة حزينة وهي تضيف بصوت خافت: «منذ كنت في الصف الأول الابتدائي وأبي يساعدني على استذكار دروسي ويشرف على قيامي بواجباتي المدرسية. أفتقده وأشتاق إليه وأتمنى يوماً من أيامه.»

أكثر ما تذكره هديل عن والدها هو حنانه فالأب رغم انشغاله بمهام العمل الاجتماعي الذي كان يقوم به لخدمة أبناء حيه السكني ومساعدتهم إلا أنه كان يقتنص الفرص ليجلس مع أطفاله ويعوضهم ساعات غيابه. «حنان أبي هو أكثر شيء أتذكره عنه. كان عطوفاً وحنوناً. رغم انشغاله بمساعدة الجيران وحل مشاكلهم إلا أنه كان يحاول أن يخصص لنا جزءاً من وقته ولم يكن يبخل علينا بحنانه وعطائه.» تحدثت هديل وأضافت: «لم يعد لبيتنا طعم بدونه. كان يملأ المنزل حركة وصخباً. أذكر كيف كان يوقظنا مبكراً كل يوم لنستعد للذهاب للمدرسة. في رمضان لم يكن ينام. كان ينتظر وقت السحور ليتولى مهمة إيقاظنا وإعداد وجبة السحور لنا.»

تجلس هديل يومياً مع أشقائها وشقيقاتها وعدهم ستة، اكبرهم نور التي تبلغ من العمر ١٦ عاماً، وأصغرهم اسماعيل وعمره عامان ونصف العام، يستحضرون ذكرياتهم مع أبيهم فيضحكون ويبكون. «نتحدث أنا وأخوتي عن أبي تقريباً بشكل يومي. لا يمكننا أن ننساه فقد كان أباً مثالياً. كان يسهر الليالي على راحتنا. نتذكره فنضحك ونحن نذّكر بعضنا بعضا بهذا الموقف أو ذاك، ثم نبكي لأنه لم يعد موجوداً بيننا.» قالت هديل ثم تابعت: «أعرف أن استشهاد والدي هو قضاء من الله لكن فراقه صعب للغاية. لقد مر على وفاته أكثر من عام لكنه لم يغب عن بالي يوماً، هو غائب لكنه دائماً حاضر.»

أعمام هديل يسعون جاهدين لتعويضها وأشقائها عن غياب والدهم. يلتقي الأعمام مع أبناء شقيقهم الشهيد يومياً، يستجيبون لطلباتهم ويعملون على تلبية احتياجاتهم. «نبذل ما في وسعنا لتعويض هديل وإخوتها عن أبيهم الذي فقدوه.» تحدث عصام النيرب، ٤٧ عاماً، احد الأعمام وقال: «الأمر ليس سهلاً فغياب الأب لا يعوض. شقيقي كان حنوناً وكان رغم انشغاله قريباً من أبنائه ولهذا تأثروا جميعهم تأثراً شديداً بموته. أبناء الشهيد متفوقون دراسياً لكن مستوياتهم تراجعت بشكل واضح عقب موت والدهم.» نظر عصام إلى هديل ملياً قبل أن يضيف: «هديل تحديداً تراجعت بشكل ملفت للنظر لكنها تحاول قدر استطاعتها وبمساعدتنا لتعود كما كانت.»

هديل طلبت منا ان تختتم حديثها برسالة توجهها لوالدها قالت فيها: «أبي الحبيب، أريدك أن تعلم أنك معنا وأننا لن ننساك أبداً. نتذكرك كل يوم وتكاد رغم غيابك لا تفارقنا. البيت ليس له طعم بدونك لكننا سنحتمل غيابك ولن نخيب ظنك فينا. سندرس لأنك كنت تحثنا دوماً على الدراسة والتفوق، وسنكون كما كنت دوماً تتمنى لنا أن نكون.»

حنين دائم !!

قصفت طائرات الاحتلال الإسرائيلي مدخل منزل المواطن ياسر أبو طير، ٣٥ عاماً، بتاريخ ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٨، ما أسفر عن مقتله ومقتل طفله معاذ، ٦ سنوات. قتل في الحادث ذاته أيضاً زياد أبو طير، ٣٢ عاماً، ومحمد أبو طير، ٢١ عاماً.

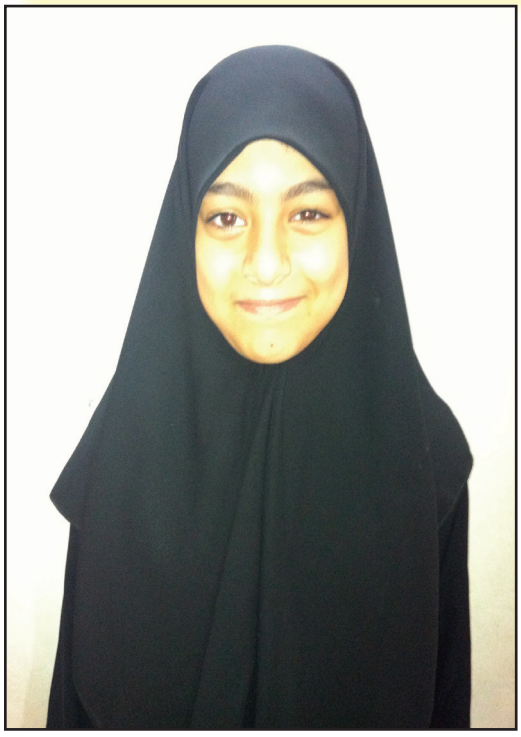

زهراء أبو طير: « ليت أبي وأخي أصيبا فقط. ليتهما لم يموتا ويذهبا بلا عودة »

تسكن زهراء أبو طير، ١٢ عاماً، في منزل صغير في خان يونس مع امها، شقيقها ميسرة، ١٣ عاماً، وشقيقتها زينب، ٨ سنوات.

كانت زهراء تبلغ من العمر ٨ أعوام فقط عندما استشهد والدها وشقيقها جراء قصف إسرائيلي طالهما بينما كانا يقفان على باب منزلهم في ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٨. «أذكر ذلك اليوم جيداً. كنا نلعب في حديقة المنزل وكان أبي وشقيقي معاذ يقفان قرب المدخل عندما سمعنا الانفجار. حضر جدي وأخذنا لمنزله ولم نعرف إلا عندما جاءت أمي مساءاً وأخبرتنا.» تحدثت زهراء وأضافت: «أنا لم أكن اتخيل أن يموت أبي ويتركنا.»

ذكريات كثيرة تجمع زهراء ووالدها فالأب كان دائم الجلوس مع أبنائه وكان يساعدهم في دروسهم وحفظ القران. «أبي داعية إسلامي وكان يحثنا دوماً على حفظ القران الكريم ويساعدنا على ذلك.» قالت زهراء وتابعت:

«كنا نلعب معاً ونمزح وكنا نقضي الكثير من الأوقات في الحديقة. رغم انشغاله الدائم كان أبي يستغل كل لحظة ممكنة ليجلس معنا ونكون سويةً.»

رغم مرور نحو أربع سنوات على استشهاده، ما زالت زهراء تشعر بالحزن وتفتقد أباها وتحن لجلوسهم معاً. «حزنت كثيراً عندما علمت أن أبي استشهد. لم أكن أتخيل أبداً أنه سيذهب ولن يعود. حتى عندما قالت أمي أنه استشهد كنت دوماً اعتقد أنه سيعود وكنت انتظره لكنني الان أدركت أنه ذهب ولن يرجع.» أوضحت زهراء وأضافت: «أبي الان في الجنة لكنني ما زلت حزينة. كنت أتمنى أن يظل حياً يرزق فأنا أحبه كثيراً. أذكره جيداً وأحتفظ بصورته ولن أنساه أبداً.»

تتساءل زهراء بينها وبين نفسها دوماً عن السبب الذي دفع إسرائيل لقتل والدها وشقيقها وقد جاهرت بتساؤلاتها أمامنا قائلة: «يومياً أسأل نفسي لماذا فعلت إسرائيل هذا؟ لماذا قتلوا أبي وحرمونا منه؟ ولماذا قتلوا شقيقي معاذ؟ معاذ كان مجرد طفل صغير عندما وقع القصف ومات.» صمتت زهراء وسالت دموعها وهي تضيف: «أنا أذكر معاذ. كان يحب أن يلعب معي وقد اعتدنا أن نمرح ونتسلى في حديقة منزلنا. كنا نعيش بسعادة وهدوء إلى أن وقع القصف فغير حياتنا وخطف منا أبي وشقيقي.»

أحوال العائلة التي فقدت بموت الأب عمادها مستقرة لكن فراق الأب يكدرها: «غياب أبي صعب جدا وهو رغم موته في بالنا دوماً. أشعر بحنين دائم إليه. نذكره أنا وأخوتي ونتحدث عنه باستمرار. أتمنى لو اقتصر الأمر على أن يصابا بدلاً من أن يموتا ويذهبان بلا عودة. أنا أعرف ان هذا قدر الله لكنني أعرف أيضاً ان إسرائيل هي من فعلت بنا ذلك».

تشعر زهراء بالغضب كلما تذكرت والدها وتصب بكلماتها جام غضبها على من قتله وتقول: «كلما خطر أبي علي بالي أشعر بالغضب من الاحتلال الإسرائيلي لأنهم هم من قتلوا أبي وأخي وحرمونا منهما. أنا أريد أن أقول لهؤلاء الجنود أننا نحن أبناء الشهداء لا نخافهم ولا نخاف من الطائرات. هذه الأرض لنا ونحن جيلاً بعد جيل لن ننسى أنهم يقتلون آباءنا ويحرموننا منهم.»

إصرار على عدم النسيان

اقتحمت قوة راجلة من قوات الاحتلال الإسرائيلي بتاريخ ٧ مايو ٢٠٠٨، منزل المواطن مجدي عبد الرازق الدغمة، وقاموا بفتح باب الحديد الخارجي للمنزل، ومن ثم وضعوا عبوة ناسفة لاصقة على الباب الخشبي الداخلي وقاموا بتفجيره. وقد أدى ذلك إلى مقتل زوجة صاحب المنزل وفاء شاكر الدغمة، ٣٣عاماً، التي كانت تقف خلف الباب. وقد اقتحم جنود الاحتلال المنزل، وقاموا بتغطية الدغمة بواسطة سجادة كانت بالمنزل، بعد أن تأكدوا من وفاتها، ومن ثم قاموا باحتجاز ثلاثة من أطفالها الستة، وهم من تصادف وجودهم معها داخل المنزل آنذاك داخل إحدى الغرف.

سميرة الدغمة: « لقد غطوا جثمان أمي بسجادة لا تليق بجسد شهيدة وعندما غادروا المنزل لوحوا لي بأيديهم قائلين شالوم فهل هناك ما هو أفظع من ذلك؟ »

تبذل سميرة الدغمة، ١٧ عاماً، قصارى جهدها وهي تستعد لامتحانات الثانوية العامة لهذا العام على أمل أن تحصل على درجات تمكنها من الالتحاق بكلية الطب كما كانت أمها تتمنى. «أدرس جيداً ولن أقصر أبداً في بذل كل الجهد المطلوب وأنا أستعد لامتحانات الثانوية العامة. أتمنى أن احصل على معدل يمكني من الالتحاق بكلية الطب لأحقق لأمي أمنيتها وتفرح.» قالت سميرة وأضافت: «يقولون ان الأموات يشاركون أحباءهم مشاعرهم ويقاسمونهم أفراحهم. أعتقد أن أمي ستشاركني فرحتي بالنجاح.»

لا تغيب تفاصيل اليوم الذي قتلت فيه قوات الاحتلال وفاء الدغمة، ٣٧ عاماً، والدة سميرة، عنها أبداً فقد عاشت سميرة التي كانت تبلغ من العمر آنذاك ١٣ عاماً، هذا اليوم لحظة بلحظة مع أمها، واثنين من أشقائها تصادف وجودهما في المنزل عندما داهمته قوات الاحتلال وقتلت الأم. «كنت مع أمي عندما داهمت قوات الاحتلال منزلنا. فجروا باب المنزل بينما كانت أمي تهم لفتحه مما أدى لمقتلها. مكثت مع أخي قصي الذي كان يبلغ من العمر ٣

سنوات، وأختي ربا وكان عمرها في ذلك الوقت ٧ سنوات، داخل غرفة النوم ساعات طويلة إلى أن خرج جنود الاحتلال من بيتنا.» أوضحت سميرة وأضافت: «كنت أدرك أن أمي قد ماتت لكن خوفي على إخوتي كان كبيراً حتى أصبح كل همي أن أرعاهما وأحول دون أن يشاهدا أمي وهي ميتة.»

اعتادت سميرة قبل موت أمها ان تكون خير معين لها فالأم كانت شديدة الانشغال بين المدرسة التي تعلم فيها، والجامعة التي تدرس بها وبيتها وصغارها الذين تقع على عاتقها مسئولية الاهتمام بهم. «كنت رفيقة أمي وصديقتها وكنت دائماً أساعدها وأعينها فأمي كانت تعمل في الفترة الصباحية مدرسة، وكانت أيضاً تدَرُس في الجامعة.» قالت سميرة وتابعت: «لم تقصر أمي بحقنا.» اعتادت سميرة قبل موت أمها أن تكون خير معين لها فالأم كانت شديدة الانشغال بين المدرسة التي تعلم بها، والجامعة التي تدرس فيها وبيتها وصغارها الذين تقع على عاتقها مسئولية الاهتمام بهم. «كنت رفيقة أمي وصديقتها وكنت دائماً أساعدها وأعينها فأمي كانت تعمل في الفترة الصباحية مدرسة، وكانت أيضاً تدرس في الجامعة.» قالت سميرة وتابعت: «لم تقصر أمي بحقنا يوماً فرغم انشغالها وكثرة أعبائها إلا أنها كانت تحرص على متابعة شؤوننا الدراسية بنفسها.»

بعد وفاة الأم، تولت سميرة باعتبارها الابنة الكبرى بين إخوتها وأخواتها مسئولية رعاية المنزل وشؤونه المختلفة. «قبل وفاة أمي كنت أساعدها واتعاون معها لكن المسئولية الأكبر كانت تقع على عاتقها ما بعد موتها فقد أصبحت أنا المسئولة عن كل شيء.» تحدثت سميرة وتابعت موضحة: «لم أكن وحدي فقد ساعدتني عمتي التي كانت تقيم معنا في نفس المنزل لكن الأمور لم تكن سهلة. أشعر بمسئولية مضاعفة تجاه أشقائي وأشعر أنني مقصرة مهما فعلت من أجلهم مقارنة بما كانت أمي ستفعله لهم. أنا حزينة لانهم لم يعيشوا مع أمي كما عشت أنا ولم يعرفوها كما عرفتها أنا. لم تتح لإخوتي فرصة أن يتعلموا من أمي وأن يتخذوها قدوة لهم لأنهم كانوا صغاراً عندما قتلتها قوات الاحتلال.»

تستعد عائلة الدغمة للانتقال لمنزلهم الجديد، فمنذ قتلت الأم وأفراد العائلة يعيشون في منزل جدهم والد أبيهم. لم يعد أي منهم للمنزل الذي شهد حادثة مقتل الأم ويرفضون العودة إليه باستثناء سميرة: «غادرنا المنزل الذي قتلت فيه قوات الاحتلال أمي بعد أن غادرته تلك القوات. لم نعد إليه فأبي وإخوتي يرفضون ذلك. يعتقدون أن العودة ستؤلمهم لأن المنزل سيذكرهم بحادثة مقتل أمي.» قالت سميرة وأضافت والدموع تملأ مقلتيها: «أنا الوحيدة التي ترغب بالعودة لذلك المنزل ففيه كل ذكرياتي مع أمي. منزلنا الجديد لم تزره أمي أبدا ولم تكن فيه يوماً أي أنها لن تكون حاضرة فيه أما المنزل القديم فهي حاضرة في كل ركن من أركانه.»

مضت أربع سنوات على موت وفاء، ويمكن القول أن أفراد عائلتها عادوا لحياتهم فالأب تزوج مؤخراً وأطفاله، تقبلوا بدرجات متفاوتة، زوجة أبيهم كفرد من أفراد العائلة لكن مشاعر الألم والحزن ما زالت تعتصرهم وقد لا تفارقهم.

«الحياة تستمر رغم الألم والمعاناة. تزوج أبي مؤخراً وحياتنا الان عادية لكننا لم نعد لسابق عهدنا الذي كنا عليه قبل مقتل أمي. موتها كسر فينا شيئاً ما.» تحدثت سميرة وأضافت: «لا يكاد يمر يوم دون أن نذكرها ونتحدث عنها. فقدانها صعب للغاية وهو شيء استوعبناه لكننا لا يمكن أن نعتاد عليه.»

عم سميرة، محمد الدغمة، ٣٣ عاماً، تحدث عن تعاطيها وأشقائها مع حقيقة مقتل امهم فقال: «الحدث نفسه كان صعب للغاية فالأم قتلت داخل منزلها وكان معها في المنزل عند وقوع الجريمة ثلاثة من أطفالها الستة. سميرة أكثر الأطفال تأثراً فهي من عاشت الحدث واهتمت بإخوتها الصغار فيما كانت أمها ترقد جثة هامدة مضرجة بدمائها على بعد أمتار قليلة منها.» صمت العم وتابع وهو يرمق سميرة بنظرات عطوفة: «تولت سميرة مسئولية كبيرة بعد وفاة أمها حيث أصبحت هي الأم والاخت. تمكنت من رعاية أخوتها والاهتمام بشؤون المنزل وحافظت في ذات الوقت على مستواها الدراسي لأنها مصرة على أن تحقق حلم أمها وتصبح طبيبة.»

بدت سميرة شديدة العزم والإصرار فيما هي تحدثنا عن نيتها ملاحقة جنود الاحتلال الذين قتلوا أمها. «لن أنسى أبداً ما فعله جنود الاحتلال بأمي. لن أنسى ممارساتهم بحقها حتى وهي ميتة. لقد غطوا جثمانها بسجادة لا تليق بجسد شهيدة وعندما غادروا منزلنا لوحوا لي بأيديهم قائلين: شالوم. هل هناك ما هو أفظع من ذلك؟ هل تعتقدون أن ثمة استهتار بأرواح الأبرياء وبمشاعرهم أكثر مما أبدوه هم أمامي في ذلك اليوم؟ كنت صغيرة لكنني أذكر جيداً تفاصيل جريمتهم». قالت سميرة وأضافت: «سألاحقهم عندما يصبح ذلك الأمر متاحاً فأنا لن أغلق هذه الصفحة ولن أطويها إلا عندما ينال هؤلاء المجرمون عقابهم.»

ثانياً: الخسارة الناجمة عن إصابة الطفل أو أحد أفراد عائلته

مستقبل مجهول 29
الشهادة الشخصية للطفل محمد الظاظا

حياتي لم تعد ملكي 32
الشهادة الشخصية للطفلة مادلين الأشقر

إقبال ملفت على حياة مرة المذاق 35
الشهادة الشخصية للطفلة جميلة الهباش

الحياة رأساً على عقب 39
الشهادة الشخصية للطفل ساهر الرضيع

مستقبل مجهول !!

بتاريخ ١٩ أغسطس ٢٠١١، استهدفت طائرة استطلاع تابعة لقوات الاحتلال مجموعة من رجال المقاومة بصاروخ واحد، أثناء تواجدهم بالقرب من مستشفى الوفاء، شرقي مدينة غزة. أسفر ذلك عن مقتل الطفل إبراهيم عدنان عبد ربه الظاظا، ١٤ عاماً، وإصابة ابن عمه محمد عاطف عبد ربه الظاظا، ١٥ عاماً، بشظايا في أنحاء متفرقة من جسده.

محمد الظاظا: « سأفعل ما بوسعي كي أحقق أحلامي رغم إصابتي ومعاناتي كي لا تحقق إسرائيل مبتغاها بتدميرنا »

كان أول ما نطق به محمد الظاظا، ١٥ عاماً، بعد استيقاظه من غيبوبة تواصلت ١٧ يوماً، هو اسم ابن عمه ورفيق روحه إبراهيم. محمد وإبراهيم كانا يلعبان كرة القدم على مقربة من منزل العائلة الكائن شرق مدينة غزة عندما سقط صاروخ إسرائيلي عليهما متسبباً في إصابتهما إصابات بالغة. وقد تم تحويل الطفلين إلى أحد المشافي الإسرائيلية لخطورة حالتهما حيث أعلن في ١٩ سبتمبر ٢٠١١، عن استشهاد إبراهيم، فيما لا يزال محمد يواصل رحلة العلاج.

انقضى شهران كاملان قبل أن يعلم محمد عن موت إبراهيم. أخفت العائلة النبأ عنه قدر استطاعتها خوفاً من تردي وضعه الصحي لشدة تعلقه وارتباطه بابن عمه. «كنت أتلقى العلاج داخل المشفى الإسرائيلي عندما علمت أن إبراهيم قد مات. اخفى عني أبي الذي كان يرافقني في المشفى الخبر لكنني علمت عندما اضطر أبي للعودة إلى غزة للمشاركة في تشييع جثمان جدتي. أجريت بحثاً عن اسم ابن عمي عبر أحد محركات البحث على الانترنت فعلمت انه استشهد.» تحدث محمد وعلامات الحزن

بادية على وجهه وأضاف: «اتصلت بأبي فوراً. بكيت كثيراً وأنا أردد اسم إبراهيم. لم أكن اتخيل ولو للحظة أنه سيموت وأننا لن نكبر معاً ولن نلعب معاً ولن نذاكر دروسنا معاً.»

آلام كثيرة ومخاوف لا حصر لها عايشها محمد طيلة الأشهر التي تلت إفاقته من الغيبوبة. «عندما استيقظت من الغيبوبة وأدركت حقيقة حجم إصاباتي اعتقدت أنني لن اعود لحياتي السابقة مجدداً. لم أكن أتخيل أنني سأمشي على قدمي. سيطرت علي فكرة أنني ساكون معاقاً حركياً فترة طويلة عانيت خلالها كثيراً. كنت أفكر بإصاباتي وأفكر بابن عمي الذي مات. فكرت بالموت دون خوف وكنت أشعر أنني أريد أن ألحق بإبراهيم وأن أكون إلى جواره كما كنا دوماً.»

يذكر محمد جيداً أدق التفاصيل المتعلقة بذكرياته مع ابن عمه ويقول: «علاقتي بإبراهيم كانت قوية جداً. كان صديقي المقرب ولم نكن نفترق خاصة أننا كنا نسكن في ذات المنزل. كنا نخرج معاً، ونلعب كرة القدم معاً. إبراهيم كان يحب السباحة وأنا لن أنسى أبداً كيف كنا نلهو سوية ونحن نسبح.» تحدث إبراهيم وتابع: «كنا نحيا حياة عادية وهادئة. لم تكن حياتنا مثالية فأنا وإبراهيم اعتدنا أحياناً أن نعمل كباعة متجولين لنساعد ذوينا في توفير قوت يومنا لكننا كنا سعداء إلى أن جرى ما جرى.»

نجا محمد من موت كاد أن يكون محققاً، وعدا عن معاناته الناجمة عن فقدانه لرفيق دربه، ابن عمه وصديقه إبراهيم، ما زال محمد يعاني من صعوبة الإصابات التي لحقت به جراء القصف الإسرائيلي والتي استدعت تلقيه العلاج داخل المشافي الإسرائيلية إثر صدور التحويلة الطبية اللازمة من قبل وزارة الصحة الفلسطينية. وقد بلغت تكاليف علاج محمد داخل مشافي دولة الاحتلال ٧٧ ألف شيكل أي نحو ٢٠ ألف دولار، عدا عن تكاليف المبيت داخل المشفى وقيمتها ٢٠٠٠ شيكل لكل ليلة أي نحو ٥٣٠ دولار. «تلقيت العلاج داخل المشفى الإسرائيلي مدة ٨ شهور متواصلة، كنت خلال الشهرين الاولين منهما مشلولاً شللاً كاملاً. خضعت لعدد من العمليات الجراحية التي تم خلالها وضع رقع جلدية على الساقين واليد اليمنى. بعد مرور ثمانية أشهر تم نقلي من المشفي الإسرائيلي إلى أحد المشافي في مدينة نابلس وقد مكثت فيه ٢٥ يوماً.» تحدث محمد عن مجريات عملية علاجه المتواصلة وأضاف: «ما زلت أتعالج حتى اللحظة فأنا أتلقى علاج دوري كل ٣ اسابيع لأنني اعاني من التهابات في عظام الساقين، كما أنني أعاني من جرح ما زال مفتوحاً في ظهري.»

يعتقد محمد أن إبراهيم ارتاح بموته من المعاناة التي يعانيها هو جراء صعوبة إصاباته التي تحول دون أن يحيا حياته بشكل طبيعي. «إبراهيم مات لكنه ارتاح. أنا ما زلت أعاني رغم مرور أكثر من عام على إصابتي والله وحده يعلم إلى أين ستؤول أموري. كنت أخطط للاعتماد على نفسي كلياً لكنني اليوم وبفعل إصاباتي أكاد لا أفعل شيئاً دون مساعدة أحد أفراد عائلتي. كنت في السابق أعمل لأساعد أبي اما الان فلم يعد بمقدوري العمل. ما جرى غيّر مجرى حياتي كلياً.» تحدث محمد موضحاً.

يعاني محمد من تشوهات واسعة جداً في الساقين، البطن، واليد اليمنى. ووفقاً للتقرير الطبي الخاص به الصادر عن وزراة الصحة الفلسطينية في ٢٣ أبريل ٢٠١٢، فإنه يعاني أيضاً من «وجود لحم وحشي مع ندبات تحتاج لإجراء عمليات تجميلية بواسطة جهاز مدد للأنسجة، كما تحتاج لشرائح سيلكونية وبنطال للساقين وكفة لليد اليمنى.» وقد تحدث عمه صابر عبد ربه الظاظا، ٤٣ عاماً، عن الوضع الراهن لمحمد قائلاً: «محمد وضعه صعب، فهو وعلى الرغم من مرور نحو سنة على إصابته ما زال بحاجة لعمليات جراحية وعلاج طبيعي متواصل. يحتاج محمد لإجراء عدد من العمليات التجميلية وعمليات الترتية والترقيع وسيكون من الخطير ألا يجري هذه العمليات التي لم نتمكن من إجرائها نظراً لتكاليفها الباهظة.»

على الرغم من صعوبة وضعه، بدا محمد متأقلماً فهو وعلى حد تعبيره: «استوعبت ما حدث وأنا متأقلم مع إصابتي ووضعي لكنني أتمنى أن أتجاوز كل الصعوبات وأن أجري العمليات التجميلية اللازمة لأواصل حياتي.» صمت محمد قبل أن يختم حديثه مضيفاً: «أدرك أن مستقبلاً مجهولاً ينتظرني لكنني أعتزم أن أواصل دراستي وسأفعل ما بوسعي كي أحقق أحلامي رغم إصابتي ومعاناتي لأنني لا أريد لإسرائيل التي تستهدف الأطفال ان تحقق مبتغاها بتدميرنا. لقد غيروا مسار حياتي لكنني لن أسمح بأن يرسموا هم مساري الجديد.»

Palestinian National Authority
Ministry Of Health
Hospitals General Administration
Shifa Hospital
Out Patient Clinic

السلطة الوطنية الفلسطينية
وزاره الصحة
الإدارة العامة للمستشفيات
مجمع دار الشفاء الطبى
العيادات الخارجية

التاريخ:2012/04/23

تقرير طبي

الاسم: محمد عاطف عبد ربه الظاظا — رقم الهوية: 402050546
الجنس: ذكر — العمر: 15 سنة
رقم الملف: — العنوان: غـــزة

المصاب المذكور أعلاه يعاني من تشوهات واسعة جدا في الطرفين السفليين و البطن و اليد اليمنى ناتجة عن قصف إسرائيلي حيث خضع المصاب للعلاج الطارئ داخل مستشفيات الخط الأخضر .

و هو الآن يعاني من وجود بداية لحم وحشي (Keloid) مع وجود ندبات/لإجراء عمليات تجميلية في المستقبل بواسطة جهاز ممدد للأنسجة tissue expanders كما و تحتاج لشرائح سيليكونية مع بنطال للساقين pressure garments و كفة لليد اليمنى glove .

أعطي له هذا التقرير لتقديمه للجهات المختصة و المؤسسات الإنسانية .

الطبيب المعالج — رئيس القسم — مدير العيادات الخارجية — مدير عام مجمع الشفاء الطبي

وزاره الصحة
الإدارة العامة للمستشفيات
مستشفى الشفاء - غزة
SHIFA HOSPITAL - GAZA

حياتي لم تعد ملكي !!

في ١٧ يناير ٢٠٠٩، قصفت آليات الاحتلال الإسرائيلي بالقذائف الحارقة والمدفعية مدرسة ذكور بيت لاهيا المشتركة للاجئين التابعة لوكالة الغوث الدولية، والتي تقع في وسط مشروع بيت لاهيا، حيث كان يتواجد داخلها حوالي ٣٢٠ عائلة لجأت إلى المدرسة لإيوائهم من القصف. أسفر القصف عن اشتعال النيران في عدد من الفصول، ومقتل طفلين شقيقين، وهما: محمد حمد شحدة الأشقر، ٤ أعوام؛ بلال حمد شحدة الأشقر، ٥ أعوام. كما أسفر القصف عن إصابة ٣٦ آخرين بجراح مختلفة، من بينهم والدة الطفلين القتيلين، نجود شعبان الأشقر، ٢٤ عاما.

مادلين الأشقر: « منذ فقدت أمي يدها أفعل ما بوسعي لأكون بديلاً عن يدها المبتورة »

كانت مادلين الأشقر تبلغ من العمر قرابة التسع سنوات عندما تسببت قوات الاحتلال الإسرائيلي بمقتل شقيقيها بلال ومحمد، وإعاقة والدتها نجود. تذكر مادلين تفاصيل الحادثة جيداً وتتحدث عنها كما لو أنها وقعت قبل ساعة واحدة وهي بذات القدر مدركة للتبعات التي خلفها ما جرى على أسرتها. «فقدت اثنين من أشقائي. كانا صغيرين جدا عندما قتلتهما الطائرات الإسرائيلية. أنا أيضاً كنت صغيرة لكنني أذكر ما حدث تماماً. أصيبت أمي وفقدت يدها ومنذ ذلك اليوم وأنا أفعل كل ما بوسعي لأكون بديلاً عن يد أمي المبتورة.»

قبل ١٧ يناير ٢٠٠٩، كانت مادلين تعيش طفولتها بشكل عادي وبأدنى ما توفر من الشروط بفعل الوضع المادي لعائلتها غير الميسورة. كانت تقضي جل وقت فراغها باللعب مع قريناتها وبنات الجيران. «كنت معتادة على اللعب مع صديقاتي وكنت أقضي وقت فراغي معهن نمرح ونلعب ونتمشى في بعض الأحيان.»

القصف الإسرائيلي الذي تسبب بمقتل شقيقي مادلين الصغيرين لم يفعل ذلك فحسب بل إنه غير مجرى حياتها وسرق منها طفولتها فمادلين لم تعد تملك الكثير من الوقت لقضائه مع صديقاتها أو للعب. قبل الأوان بكثير، تحملت مادلين من الأعباء ما لا يتناسب وسنوات عمرها التي لا تزيد عن الاثنتي عشرة سنة. «أنا الآن أقضي معظم وقتي في مساعدة أمي في القيام بالواجبات والأعباء المنزلية خصوصاً تلك التي لا يمكنها القيام بها بيد واحدة. أنظف الأطباق بعد تناولنا وجبات الطعام. أعجن الخبز وأخبزه، وأساعد أيضاً في ترتيب المنزل وتنظيفه.»

مادلين بدت راضية تماماً عن حياتها التي لا يعكر صفوها سوى شعورها بافتقاد شقيقيها الصغيرين، وهي مقتنعة تماماً بأن ما تقوم به هو واجبها «مساعدة أمي هي واجب علي. إن لم أساعدها انا فمن غيري سيفعل ذلك؟». تساءلت مادلين ثم أضافت: «رغم أن أعمال المنزل ومساعدة والدتي تستغرق وقتا طويلا لدرجة أنني لم أعد أرى صديقاتي أو أجالسهن كما كنت أفعل إلا أن ذلك لا يزعجني. حتى عندما أكون مع صديقاتي لا أشعر بالسعادة كما كنت أفعل قبل موت بلال ومحمد. أفتقدهما دوماً وأذكر كيف كنا نلعب معاً وكيف كان والدي ووالدتي يشاركوننا اللعب. أذكر كل هذا وأتمنى لو أن شيئاً لم يتغير.»

لا تقتصر الأدوار النمطية لمادلين على مجرد مساعدتها لامها في إدارة شؤون المنزل، فهي أيضاً مسئولة عن مساعدة والدها الأبكم. ترافق مادلين والدها كلما احتاجها لتتولى مهمة ترجمة ما يريد قوله للآخرين بعد أن تعلمت لغة الإشارات وباتت قادرة على فهم حديثه بشكل كامل. قبل استشهاده، كان بلال يقوم بهذه المهمة لكنها الآن باتت منوطة بمادلين فشقيقها الذكر الذي كتبت له النجاة معها من القصف الإسرائيلي، صبري يبلغ من العمر ٤ أعوام فقط وهو غير قادر على تولى هذه المسئولية، وإن كانت العائلة تعده حالياً لتوليها. «تعلمت التعامل بلغة الإشارة وقد أصبحت قادرة على فهمه. كثيرا ما أساعده في ترجمة ما يريد قوله للاخرين فمعظمهم لا يفهمون إشاراته ويحتاجون من يترجمها. في السابق كان أبي يعتمد على شقيقي بلال الذي كان يرافقه أينما ذهب أما الان فقد باتت هذه أيضاً من مسئولياتي.»

مادلين، لا تمتلك الكثر من الوقت لنفسها فما بين الأعباء المنزلية ومساعدتها لوالدها لا يتبقى لها إلا القليل لتستذكر دروسها أو لتقرأ القرآن الكريم الذي تحب قراءته. «أشعر أن حياتي ليست ملكي فأنا أقضي معظم يومي في ترتيب المنزل والاهتمام مع أمي بشئونه المختلفة. أساعد أبي أيضاً واحاول أن أحافظ في ذات الوقت على مستواي الدراسي. قبل الحرب وقبل موت بلال ومحمد كنت أكثر تفوقاً. آنذاك كانت أمي تساعدني في مراجعة دروسي وأداء الفروض المنزلية والواجبات لكنها الآن لم تعد قادرة على فعل ذلك. أصبحت أكثر اعتماداً على نفسي.»

تتفهم مادلين جيداً حقيقة أن حياتها تبدلت بفعل الإعاقة التي أصيبت بها والدتها. لا تتذمر ولا تشتكي بل إنها أيضاً تستوعب نوبات الغضب التي تصيب والدتها بين الحين والآخر كما لو كانت وعلى حد تعبير والدتها راشدة وبالغة.

«مادلين أصبحت يدي التي لا أستغني عنها في المنزل. أعتمد عليها بشكل كبير فهي تساعدني في القيام بمختلف الواجبات المنزلية. بتر يدي أثر على حياتي وألقى على مادلين أعباء لم تكن منوطة بها قبل ذلك، وهي لا تتذمر بل على العكس تبادر دوماً لمساعدتي وتضيف إلى ما تقوم به من واجبات منزلية واجباً جديداً بشكل شبه يومي حتى أنني في الكثير من الأحيان أشفق عليها. مادلين حرمت من طفولتها وكبرت قبل الاوان وهي شديدة الاحتمال حتى انها تحتمل نوبات غضبي التي غالباً ما أوجهها ضدها رغماً عني. أشعر دوماً برغبة في الصراخ ولا أجد سواها أمامي. أصرخ فيها أما هي فتتفهم وتحتمل». وأضافت الأم: «فقدت بلال ومحمد وفقدت يدي أيضاً. منذ ذلك اليوم المشئوم حياتنا لم تعد كما كانت. حياة جديدة فرضت علينا نعيشها كفرض واجب لكنها صعبة، قاسية، وبلا طعم».

رغم قسوة الظروف التي تعيشها مادلين كطفلة بالكاد تشعر بطفولتها إلا أنها تصر على أن فقدان شقيقيها بلال ومحمد هو الأقسى والأصعب «موت بلال ومحمد هو أقسى شيء مر علينا جميعاً وليس علي أنا وحدي. حياتي تغيرت وبت مسؤولة بشكل كبير عن المنزل وإخوتي لكن هذا كله لا يساوي شيئاً بالمقارنة مع فقدانهما. منذ مات شقيقاي لم نعد كما كنا. جميعنا تغيرنا. أمي تغيرت وأبي أيضاً. لم نعد نلعب سويا كما كنا في السابق وقلما يدخل الفرح بيتنا».

مشهد من مدرسة بيت لاهيا الإبتدائية عقب استهدافها من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي بقذائف الفسفور الأبيض

إقبال ملفت على حياة مرة المذاق !!

بتاريخ ٤ يناير ٢٠٠٩، قصفت الطائرات الإسرائيلية سطح منزل عائلة الهباش، في مدينة غزة بينما كان أطفال العائلة يلعبون. أسفر القصف عن مقتل الطفلتين شذى الهباش، ١٠ أعوام، وبنت عمها إسراء، ١٣ عاماً، كما أصيب عدد من أطفال العائلة، بينهم جميلة التي تسببت إصابتها في بتر ساقيها.

جميلة الهباش: « ما جرى سيكون عامل تحفيز يدفعني للأمام لأثبت لإسرائيل أنها لن تقتل فينا حبنا للحياة »

تلفت جميلة الهباش، ١٧ عاماً، انتباه من يلقاها خلال لحظات ببساطتها، تلقائيتها، ووجهها البشوش الذي تزينه ابتسامة تكاد لا تفارقه. ولا يمكن لمن يعرف ما مرت به جميلة وظروف حياتها الراهنة، إلا وأن يصاب بالدهشة ويتساءل: ما سر تفاؤل هذه الفتاة ؟ ومن أين تستمد هذه القوة التي تعينها على مواجهة الصعوبات بقلب يملؤه الأمل وروح يحدوها إقبال ملفت على حياة مرة المذاق ؟؟

جميلة، فقدت ساقيها عندما كانت تبلغ من العمر ١٤ عاماً، إثر قصف إسرائيلي استهدف سطح منزل عائلتها المكون من عدة طبقات بينما كانت وعدد من أطفال العائلة يلهون ويلعبون. الحادث ذاته أسفر عن مقتل شقيقتها شذى، ١٠ أعوام، وابنة عمها إسراء، ١٣ عاماً. «لقد مر على الحادث أكثر من ثلاث سنوات، لكنه ما زال حاضراً في ذهني كما لو كان قد وقع بالأمس فقط.» تحدثت جميلة وأضافت: «لا يمكنني أن أنسى ما جرى، وأبداً لن أنسى شقيقتي شذي وابنة عمي إسراء اللتين قتلتا في ذات الحادث الذي حولني

إلى معاقة حركياً، لكنني في الوقت نفسه لن أسمح لما حدث بأن يكون عامل إحباط يجرني للخلف بل على العكس، سيكون ما جرى عامل تحفيز يدفعني دوماً للأمام لأثبت لإسرائيل بأن جرائمها بحقنا لن تقتل فينا حبنا للحياة.»

خضعت جميلة خلال السنوات المنصرمة التي تلت القصف، لعدد من العمليات الجراحية. وما زالت حتى اللحظة بحاجة لجلسات العلاج الطبيعي التي يفترض أن تنتهي بتأهيلها بشكل كلي لاستخدام ساقين اصطناعيتين بدلاً عن ساقيها اللتين تسبب القصف الإسرائيلي في بترهما. «ما زلت حتى اللحظة أعاني جراء عدم مقدرتي على الاعتماد على الساقين الاصطناعيتين. أجد صعوبة كبيرة في استخدامهما رغم أنني تلقيت تدريباً مكثفاً على ذلك في فرنسا وسلوفانيا.» تحدثت جميلة وابتسامتها تزين ثغرها.

لا تشفق جميلة على حالها وما آل إليه بفعل إصابتها وعجزها عن الحركة، بل إنها تقسو على نفسها وتحملها مسئولية عدم المقدرة على استخدام الساقين الاصطناعيتين: «ألقي كل اللوم فيما يتعلق بعدم مقدرتي على الاعتماد على الساقين الاصطناعيتين على نفسي، أنا من عليها أن تتدرب بجهد وأن تمارس تمرينات العلاج الطبيعي يومياً. عائلتي لم تقصر معي. ساندوني وشجعوني وهم دوماً إلى جواري. العبء كله يقع عليّ وحدي ولا يمكنني أن ألوم أحد سوى انشغالي بالاستعداد لامتحانات الثانوية العامة التي اجتزتها بنجاح والحمد لله وسأحاول أن أكثف من التدريبات في الأيام القادمة لأعتاد على الساقين الجديدتين.»

التحقت جميلة بقسم الصحافة واللغة العربية التابع لكلية الآداب في جامعة الأزهر بغزة في خطوة جادة تجاه تحقيق حلمها بأن تصبح صحفية ترصد ما يجري في بلادها وتكتب عما تقترفه إسرائيل بحق أبناء شعبها من جرائم. «منذ صغري وأنا أتمنى أن أصبح صحفية. بعد الحرب على غزة وعقب إصابتي ازداد إصراري على تحقيق هذه الرغبة لأنني أدرك أهمية الدور المنوط بعمل الصحفيين خاصة بالنسبة لنا فنحن الفلسطينيين بحاجة لمن يفضح وجه إسرائيل الحقيقي عبر الكشف عن حقيقة ما تقترفه من جرائم بحقنا.» تحدثت جميلة وتابعت وابتسامتها لا تفارق وجهها: «كلي عزم وتصميم على مواصلة دراستي حتى أحقق مرادي وأصبح صحفية ويكون لي دور في إيصال صوتنا كضحايا للعالم كله ليسمع ويرى ومن ثم يصدر أحكامه.»

جميلة، تسكن مع عائلتها المكونة من الأب، الأم، وثمانية أشقاء وشقيقات، في الطابق الثالث من منزل مكون من أربعة طوابق. لا تواجه جميلة داخل المنزل أية مشكلة فيما يتعلق بحركتها فالمنزل وفقاً لما قالته مهيأ لراحتها ومن السهل أن تتحرك فيه بحرية، لكن المعاناة الحقيقية للفتاة تبدأ عندما تستدعي الحاجة خروجها من المنزل. «الحركة داخل المنزل سهلة فعائلتي قامت بالتغييرات المطلوبة لضمان أن أتحرك بسهولة وحرية. المشاكل الحقيقية تبدأ بمجرد التفكير في الخروج من المنزل.» تحدثت جميلة وأضافت: «كما ترون، نحن نسكن على الطابق الثالث أي أنني بحاجة لنزول

عدد كبير من السلالم كلما اضطررت للخروج. نزول السلالم وصعودها يتطلب بالضرورة وجود شخص واحد على الأقل لمساعدتي. عادة يقوم أحد أشقائي بتولي هذا الدور، وفي حال عدم وجودهم، يتولى أبناء عمي هذه المهمة.»

مشكلة جميلة باتت اليوم أقسى من أي وقت مضى، فهي الان طالبة جامعية ما يعني أنها مضطرة لمواجهة مأزق نزول السلالم وصعودها بشكل يومي. كما أن المشكلة لم تعد تقتصر على سلالم المنزل، فالقاعات الدراسية التي تتلقى فيها جميلة محاضراتها الأكاديمية تقع جميعها في الطابق الرابع مما يعني أنها بحاجة لصعود ونزول عشرات السلالم داخل الجامعة خاصة في ظل عدم توفر مصعد كهربائي. «الأماكن جميعها في بلدنا غير مهيئة لمن هم في مثل حالتي وهذا أمر يضاعف من معاناتنا. في الجامعة على سبيل المثال، لا يوجد مصعد كهربائي. القاعات الدراسية التي أتلقى فيها محاضراتي تقع جميعها في الطابق الرابع ولكم أن تتخيلوا معاناتي اليومية وأنا أحاول صعود السلالم ونزولها». أوضحت جميلة وأضافت: «طبعاً يضاف إلى المعاناة الجسدية معاناة أخرى أقسى هي تلك التي تسببها نظرات الطلبة والطالبات والتي تتفاوت ما بين الشفقة والسخرية.»

أشقاء جميلة يكادون لا يفارقونها فهم معها في كل مكان يعملون على مساعدتها وتسهيل حركتها، وقد تحدثت عنهم قائلة: «أشقائي هم الساقين البديلتين الحقيقيتين. لا يفارقونني ويعملون على ضمان أن أتحرك بسهولة من مكان لمكان حتى أن أحدهم آثر أن يدرس نفس التخصص الذي اخترته أنا للدراسة في الجامعة ليكون على مقربة مني كلما احتجته.» صمتت جميلة ثم تابعت وابتسامتها المعهودة تعلو قسمات وجهها: «لقد ضحى أخي مؤمن الذي يكبرني بعام واحد برغبته الحقيقية المتمثلة في دراسة اللغة الإنجليزية، وهو حالياً معي في ذات القسم ليكون إلى جواري ويساعدني كلما احتجته في التنقل من مكان إلى آخر داخل الجامعة او خارجها.»

لا تفكر جميلة بالصعوبات التي تواجهها وتحول دون ممارستها لحياتها بشكل طبيعي فهي لا تجد منفعة من التفكير بهذا الاتجاه: «لا وقت لدي للتفكير بالصعوبات التي تواجهني. كل تفكيري منصب فقط على كيفية مواجهة هذه الصعوبات وتذليلها لأواصل حياتي ولا أفسح المجال أمام إصابتي لتعيقني عن الاستمرار في الدرب الذي رسمته لنفسي.» قالت جميلة وأضافت: «كل ما اتمناه أن يولي المسؤولون في هذه البلد بعض الاهتمام للمعاقين حركياً وأن يعملوا على تهيئة الشوارع ومختلف الأماكن بما يتناسب وإعاقاتنا فنحن جزء من هذا المجتمع ومن حقنا أن تهيأ لنا الظروف المناسبة التي تمكنا من العيش فيه بسهولة ودون معاناة.»

قوة جميلة وروحها المعنوية العالية تساعدها على تجاوز ألمها وتساعد أيضاً كل أفراد العائلة الذين يستمدون قوتهم من قوتها فوفقاً لوالدتها هالة الهباش، ٣٩ عاماً: «جميلة من حيث النفسية والمعنويات عالجت نفسها بنفسها. كانت دوماً قوية ومعنوياتها عالية، بل إنها وعلى الرغم من إعاقتها كانت ولا زالت الأقوى بيننا. جميلة هي من تمدنا بالقوة والتفاؤل

وهي من تزيدنا صلابة وصبراً. لا يمكننا أن نشعر بالضعف أو العجز أو اليأس وهي النموذج الحي الذي نستلهم منه أملنا وقوتنا فهي رغم إعاقتها لم تضعف ولم تفقد أملها بأن غداً سيكون اجمل.»

لا تتمكن جميلة من التنقل من مكان إلى اخر خارج المنزل إلا بمساعدة أشقائها

الحياة رأساً على عقب!!

بتاريخ ١٠ يناير ٢٠٠٩، أطلقت طائرة استطلاع إسرائيلية صاروخين باتجاه وفاء الرضيع، ٣٩ عاماً، وشقيقتها غادة، ٣٢ عاماً، بينما كانتا تسيران في شارع حبّوب، وهو أحد الشوارع الرئيسية في بيت لاهيا. كانت الأختان تسيران في الشارع أثناء فترة وقف إطلاق النار لمدة ساعة واحدة المعلنة من قبل قوات الاحتلال، حيث أرادتا التوجه إلى عيادة مجاورة لأن وفاء شعرت باقتراب موعد ولادتها. وقد أدى الاعتداء إلى إصابة وفاء بجراح خطيرة.

ساهر الرضيع: « أشعر بغصة كلما نظرت لأمي وادرك جيداً ان هذه الغصة لن تفارقني ما حييت »

لم يكن الحديث مع ساهر الرضيع، ١٣ عاماً، سهلاً، فهو يعتقد بأن ما تواجهه العائلة من صعوبات ناجمة عن إصابة والدته وبتر قدمها إثر القصف الإسرائيلي الذي استهدفها وشقيقتها بينما كانتا في طريقهما إلى المشفى شأن شخصي يخص فقط أفراد العائلة. حثته والدته وفاء الرضيع، ٣٩ عاماً على الحديث معنا، قائلة: «هؤلاء هم من سيكتبون الحقيقة ليعرفها العالم كله لذا عليك ان تصارحهم. احكِ لهم عن حياتنا ومعاناتنا وَصِف لهم شعورك إزاء ما حدث.»

ساهر، هو الابن السادس لعائلة تتكون من ١٠ أفراد، وهو من بين إخوته السبعة الأكثر تعلقاً بأمه وهو أيضاً أكثرهم تأثراً بالحادث الذي أسفر عن بتر قدمها. «القصف الإسرائيلي الذي أصيبت خلاله أمي غير حياتنا بشكل كلي. لم تعد أمي قادرة على القيام بالكثير من النشاطات التي كانت تقوم بها.» تحدث ساهر وأضاف: «قبل الحادث كانت أمي ترافقنا بشكل شبه يومي في طريق ذهابنا إلى المدرسة وعودتنا منها. كانت تساعدنا في واجباتنا

الدراسية، وكانت أيضاً تشتري لنا كل ما نحتاجه من ملابس وأغراض. بعد الحادث لم تعد أمي قادرة على القيام بكل هذه النشاطات فمن الصعب عليها أن تتحرك وتتنقل وهي بالكاد تخرج من المنزل.»

إصابة الأم وبتر قدمها فرضا على أبنائها ضرورة القيام بالكثير من الأعباء المنزلية التي كانت منوطة بها لكنها لم تعد قادرة على أدائها. «اعتادت أمي قبل الإصابة على القيام بكل الواجبات المنزلية بنفسها. كانت تطهو الطعام، تنظف المنزل، وتهتم بترتيب حاجياتنا ومتعلقاتنا الشخصية، ولم تكن تسمح لنا بمساعدتها إلا في الاجازات المدرسية فقط. منذ أصيبت أمي بات القيام بالأعباء المنزلية واجباً يقع على عاتقي أنا وإخوتي. نتقاسم العمل ونتشارك الواجبات كي لا نحمل امي فوق طاقتها.» أوضح ساهر ثم تابع: «أنا وإخوتي نساعد أمي في كل شيء يتعلق بالمنزل. مساعدتها لا تضايقنا بل على العكس، أشعر بسعادة وأنا أقوم ببعض الأعمال بدلاً عنها لأنني أدرك انها لم تعد كما كانت في السابق وليس من السهل عليها أن تتحمل كل مسئوليات المنزل وأعباءه وحدها.»

يهوى ساهر بشكل خاص لعب كرة القدم وقد كان في السابق يخصص لهذه اللعبة جزءاً كبيراً من وقت فراغه، لكنه الان لم يعد يفعل ذلك. «كنت قبل أن تتعرض أمي للقصف أتهرب من مساعدتها وأذهب للعب كرة القدم لكنني الآن لا أفعل ذلك. مساعدة أمي أهم بكثير من كرة القدم. وفرحتي وأنا أساعدها أكبر بكثير من فرحتي وأنا ألعب الكرة مع أصدقائي.» صمت ساهر قبل أن يتابع متسائلاً: «هل يعقل أن أترك أمي تعاني وتعمل في المنزل وأذهب أنا للعب الكرة؟ هذا غير معقول فمساعدتها هي الأهم حتى أنها أهم من استذكار دروسي.»

لقد انعكست تبعات إصابة وفاء الرضيع على أفراد عائلتها كافة فوفقاً لها «تضاعفت الواجبات الملقاة على كاهل أبنائي منذ اللحظة الأولى لإصابتي. لم أكن في السابق أستعين بهم إلا فيما ندر لكنني الان أكاد لا أفعل شيء إلا بمساعدتهم لأنني فقدت القدرة على الحركة.» صمتت الأم لحظات قبل أن تضيف قائلة: «حولتني الإصابة من شخص يعتمد على نفسه كلياً إلى شخص لا يمكنه فعل شيء إلا بمساعدة الآخرين. كنت أقوم بكل الواجبات المنزلية وحدي لكنني اليوم اعتمد على أبنائي بشكل كلي. الأولاد باتوا يعتمدون على انفسهم وعلى والدهم. عقب إصابتي مباشرة تم تحويلي إلى مصر للعلاج وعندما عدت لمنزلي بعد ٦ أشهر أدركت ان شيئاً لم يعد كما كان في السابق. كل تفاصيل حياتي تغيرت والهم الأكبر يحمله أبنائي لأنهم يصرون على مساعدتي في كل كبيرة وصغيرة ويعتقدون بأن هذا واجباً لا يمكنهم إلا ان يقوموا به.»

تعتقد الام أن إصابتها قلبت حياتها رأساً على عقب، وتكاد مشاعر الحزن لا تفارقها فهي تشفق على أبنائها لانهم تحملوا من المسئوليات ما لا طاقة لهم بهم. «أشعر بالتقصير الشديد تجاه أبنائي، وأشعر بالحزن عليهم فحياتهم تغيرت. لم يعد وقتهم ملكهم بقدر ما هو ملك للمنزل وملك لي. هم متأقلمون ولا يشتكون أبداً لكنني حزينة لأن القصف وبتر قدمي قلب حياتنا رأساً على عقب. باتت أدوارنا رغماً عني وعنهم مقلوبة، فأنا لم أعد الأم التي تقوم بمسئولياتها الطبيعية تجاه

أبنائها ومنزلها. المنزل وأعباؤه مسئوليتي أنا لكنهم في الواقع، هم من يحملون على عاتقهم هذه المسئولية وهذا أصعب ما يمكن أن يواجهه أطفال بأعمارهم.»

ساهر، لا يتفق مع أمه في أن قيامه وأشقائه بالكثير من الواجبات المنزلية هو أمر صعب فأداء هذه الواجبات بات جزءاً من الروتين اليومي لأبناء العائلة. «أعباء المنزل والواجبات المنزلية ليست هي المشكلة. لقد أصبحت هذه الواجبات شيئاً عادياً نقوم به أنا وإخوتي يومياً بلا كلل أو ملل.» تحدث ساهر موضحاً وأضاف: «الشيء الوحيد الذي لا يمكننا التأقلم معه والتعود عليه هو إصابة أمي وبتر قدمها. أشعر بغصة وأنا أرى أمي عاجزة لا تقوى على فعل شيء دون مساعدة أحد ما. أشعر بغصة كلما قارنت بين أمي قبل القصف وأمي الان. أشعر بغصة كلما نظرت لأمي وأنا أدرك جيداً بأن هذه الغصة لن تفارقني ما حييت».

ثالثاً: الخسارة الناجمة عن اعتقال أحد أفراد العائلة والحرمان من زيارته

بيت لا تزوره الأفراح 44
الشهادة الشخصية للطفلة سهى دواس

الانتظار على أحر من الجمر 47
الشهادة الشخصية للطفل مروان الرخاوي

لماذا تحرمني إسرائيل من أبي؟ 50
الشهادة الشخصية للطفلة جمانة أبو جزر

بيت لا تزوره الأفراح!!

بتاريخ ٢٤ نوفمبر ٢٠١١، تلقى ذوو المواطن إياد شعبان أحمد دواس، ٣٩ عاماً، من سكان مخيم جباليا، شمالي قطاع غزة، وهو صاحب مخبز، ولديه عائلة قوامها ١٠ أفراد، اتصالا من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي، أخبروهم خلاله بأن نجلهم معتقل لديهم داخل سجن المجدل بإسرائيل. وكان دواس قد حُوِّل للعلاج داخل مستشفى المقاصد في مدينة القدس المحتلة بعد اكتشاف ورم في الساق لديه، وقد غادر قطاع غزة عبر معبر بيت حانون «ايرز» بتاريخ ٢٦ أكتوبر ٢٠١١ للعلاج هناك. وبعد انتهاء رحلة علاجه، وعودته إلى غزة عبر المعبر المذكور، تم اعتقاله.

سهى دواس: « لا أتوقف عن التفكير بأبي وظروفه داخل السجن. أكاد أموت قلقاً عليه وأتمنى في كل لحظة أن يعود لنا سالماً »

لم يتسن لسهى دواس، ١٧ عاماً، أن ترى والدها المعتقل في سجون الاحتلال الإسرائيلي منذ أكثر من عام. تفتقد سهى وأشقاؤها البالغ عددهم تسعة، والدهم بشكل كبير فالأب قبل اعتقاله كان معتاداً على الجلوس مع أبنائه لفترات طويلة يتجاذبون خلالها أطراف الحديث، يلهون، ويتمازحون.

«أبي كان أباً مثالياً.» باشرت سهى حديثها عن والدها وأضافت: «كانت حياتنا هادئة وسعيدة. كنا نجتمع يوم أجازته الأسبوعية نتسامر ونلهو. كان مرحاً يمازحنا ويقضي جل وقت فراغه معنا. جميعنا نفتقده. الفرحة لم تكن تفارق منزلنا عندما كان أبي بيننا لكنها منذ اعتقاله لم تزرنا.»

ترك الأب المعتقل فراغاً كبيراً في بيته وفي نفوس أبنائه وعلى الرغم من الجهد الذي يبذله أشقاؤه لتعويض أطفاله عن غيابه إلا أن غيابه وعلى حد تعبير سهى لا يمكن تعويضه. «عام كامل تقريباً مضى على اعتقال أبي. بالنسبة لي المدة

أكثر من كثيرة لأننا لم نعتد أن يغيب عنا أبي يوماً واحداً. منذ فارقنا ونحن نشعر بفراغ كبير. أعمامي يبذلون قصارى جهدهم لنفرح وكي لا نشعر بالفراغ الذي يسببه غيابه عنا لكن غيابه لا يعوض.» تحدثت سهى وأضافت: «أنا لا اتوقف عن التفكير بأبي وظروفه داخل السجن. أكاد أموت قلقاً عليه وعلى وضعه وأدعو الله ليل نهار ان يعود لنا أبي سالماً. قلقي يزيد يوماً تلو الآخر خاصة مع الأخبار التي ترد عن سوء ظروف الاحتجاز وعن معاناة المعتقلين داخل السجون الإسرائيلية.»

كانت سهى تستعد لتقديم امتحانات الثانوية العامة عندما اعتقل والدها. تأثرت بحادثة اعتقاله وفقدت القدرة على التركيز وتغيبت عن امتحاناتها وهي مصرة أن لا تعود لمدرستها إلا بعد الإفراج عنه. «عقب اعتقال والدي لم أعد قادرة على الدراسة. لا يمكنني التركيز في دروسي فأنا دائمة التفكير فيه وفي وضعه. توقفت عن الذهاب للمدرسة وتغيبت عن امتحاناتي واتخذت قراري. لن أعود للمدرسة إلا عندما يعود أبي للمنزل». تحدثت سهى بلهجة حادة وأضافت بصوت خافت: «كان يساعدني في مراجعة دروسي. هو من كان يساندني ويشجعني. كلما فتحت كتاباً ما لأدرس أرى صورته أمامي فأفقد قدرتي على القراءة والتركيز. كان خير مشجع لي وأنا سأنتظر عودته ليشجعني مجدداً ويساندني ويكون أول الفرحين بنجاحي.»

تلقت سهى وأشقاؤها من والدهم خلال فترة اعتقاله رسالتين اثنتين فقط حملهما معتقلون مفرج عنهم. واحدة من الرسالتين كانت موجهة لسهى بشكل خاص. «تلقيت من أبي رسالة حدثني فيها عن وضعه وطمأنني عن حاله. أقرأ الرسالة بشكل يومي فهي وسيلتي الوحيدة للتواصل مع أبي. أقرؤها وأشعر كما لو كان أمامي يحدثني.» تحدثت سهى وتابعت: «كنت دوماً مميزة عند أبي وقد أثّرت فيّ رسالته كثيراً لأنه حتى في سجنه لم ينسني وميزني برسالة خاصة بي. كلما قرأت الرسالة أشعر بالحزن والفرح في آن واحد. أحزن لأنها تذكرني بانه في السجن بعيداً عنا يعاني ويتألم. وأفرح لأن هذه الرسالة تربطني به وتقربني منه رغم بعد المسافات بيننا.»

حرمت إسرائيل معتقلي قطاع غزة من تلقي زيارات ذويهم طيلة الفترة الممتدة من يوليو ٢٠٠٧، وحتى يوليو ٢٠١١، عندما علقت العمل ببرنامج زيارات معتقلي القطاع. ونتيجة لاستئناف البرنامج في ١٦ يوليو ٢٠١١، تمكنت والدة سهى من زيارة زوجها المعتقل لكن أياً من أبنائه العشرة لم يزره حيث حددت مصلحة السجون الإسرائيلية الفئات المسموح لها بزيارة المعتقلين في: الأب، الأم، والزوجة، وعن هذا تحدثت سهى قائلة: «عندما سمعنا عن استئناف برنامج الزيارات فرحنا فرحة لا توصف. تجدد أملي بأن أرى أبي لكن هذه الفرحة سرعان ما تحولت إلى حزن بمجرد أن قال لنا الصليب الأحمر بأن الأبناء ليسوا ضمن الفئات المسموح لها بالزيارة.» صمتت سهى وبدت حزينة وهي تضيف متسائلة: «لا أعلم بأي وجه حق تحرم إسرائيل الأب من رؤية أبنائه؟ بأي وجه حق تعتقل إسرائيل أبي دون محاكمة وتحرمنا من زيارته؟ لماذا لا يُسمح للأبناء بزيارة آبائهم داخل سجون الاحتلال؟ هل نشكل خطراً على أمن إسرائيل؟ هل سأهدد أمن دولة

الاحتلال إذا ما سمحوا لي بلقاء أبي؟ لا أعتقد ان أحداً ما يمكنه أن يجيبني على تساؤلاتي هذه.»

سهى، ارتأت أن توجه كلماتها لدول العالم ولكل من يؤمن بالعدالة والمساواة وقالت: «أريد أن أوجه رسالة لكل الأحرار في العالم. رسالتي هذه لكل من يؤمن بالعدالة والمساواة. أسألهم أن يهتموا بقضية المعتقلين الفلسطينيين وأن يطلعوا على حقيقة ما يعانونه في سجون الاحتلال علّهم يعرفون حقيقة إسرائيل التي تدعي الديمقراطية وتمارس في ذات الوقت أبشع أساليب التعذيب والإرهاب بحق المعتقلين وبحقنا نحن أبناءهم. نحن محرومون من زيارة آبائنا في سجون الاحتلال. إسرائيل لم تكتف باعتقال أبي دون وجه حق ودون محاكمة لكنها أيضاً تحرمنا من رؤيته وتحرمه هو من حقه في أن يطمئن علينا ويرانا. أين هي العدالة في هذا كله؟»

زوجة المعتقل إياد دواس وعدد من أطفاله

الانتظار على أحر من الجمر!!

مروان الرخاوي: « والدنا حي يرزق لكننا محرومون من رؤيته. نحتاجه لكننا لا نجده بيننا ولا يمكن لأحد أن يشغل مكانه »

أقدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي التي كانت تتمركز على حاجز أبو هولي وسط قطاع غزة بتاريخ ٧ يونيو ٢٠٠٤، على اعتقال المواطن أكرم الرخاوي، وهو من سكان رفح. يقضي الرخاوي في السجن مدة محكوميته البالغة ١٠ سنوات، ومنذ اعتقاله، لم يتمكن أبناء المعتقل من زيارته فيما زارته زوجته خلال العام الاول من اعتقاله فقط، وذلك بسبب القيود الإسرائيلية المفروضة على الزيارات العائلية لمعتقلي قطاع غزة.

كيف يبدو أبي؟ هل هو طويل أم قصير؟ هل هو نحيل؟ أسئلة اعتادت نجاح الرخاوي، ٤٣ عاماً، على تلقيها من أطفالها الذين كبروا دون أن تتاح لهم فرصة رؤية أبيهم المعتقل في سجون الاحتلال الإسرائيلي منذ أكثر من ٨ سنوات.

كان الطفلان التوأمان أنس وسامي يبلغان من العمر عام واحد عندما اعتقل والدهم أكرم الرخاوي، ٣٩ عاماً، وشأنهم شأن معظم أبناء المعتقل، لم يزر الأطفال والدهم داخل سجون الاحتلال بفعل القيود المشددة التي تواصل قوات الاحتلال الإسرائيلي فرضها على زيارات معتقلي قطاع غزة والتي توجت في العام ٢٠٠٧، بتعليق برنامج الزيارات بشكل كلي. «عندما اعتقل أبي كان عمري ٩ اعوام. لم أتمكن من زيارته خلال سنوات اعتقاله الثمانية بفعل ما تفرضه قوات الاحتلال من قيود على برنامج الزيارات.» تحدث مروان، ١٧ عاماً، وأضاف: « صور أبي التي نحتفظ بها في المنزل هي ما يساعدني عى تذكر ملامح وجهه. ما

نعيشه قاسي جداً. مجموعة صور ورسائل معدودة هي كل ما يربطنا أنا وإخوتي بأبي منذ سنوات طويلة.»

يعتقد مروان أن حياتهم دون أبيه ينقصها الكثير، وأنهم يعانون معاناة تتضاءل أمامها الكلمات فالأب على قيد الحياة لكنهم تقريبا لا يعرفونه. «نحن لا نحتسب ضمن الأحياء، لكننا أيضاً لسنا أمواتاً». قال مروان وأضاف: «والدنا حي يرزق لكننا محرومون من رؤيته. نحتاجه لكننا لا نجده بيننا ولا يمكن لأحد أن يشغل مكانه.»

أصبح لدى المعتقل الرخاوي الآن عدد من الأحفاد الذين لا يعرفهم ولا يعرفونه فقد تزوج ثلاثة من أبنائه فيما هو داخل السجن. «فرحتنا كانت وستظل منقوصة إلى أن يخرج لنا أبي سالماً من السجن. تزوج شقيقاي وتزوجت إحدى شقيقاتي لكننا لم نشعر بالفرحة لأن أبي لم يشاركنا ولم يكن معنا في هذه المناسبات.» تحدث مروان وتابع: «يوم زفافها بكت شقيقتي كثيراً لغياب أبي. جميعنا نفتقده وننتظر عودته على أحر من الجمر.»

ينتظر مروان وأشقاؤه لحظة لقائهم بالأب المعتقل. يتحدثون معاً عن هذه اللحظة وكيف ستكون. «أحلم باللحظة التي سألتقي فيها بأبي. أتحدث مع إخوتي دوماً عن تصوراتنا للقاء وكيف سيكون. شعور غريب ينتابنا فشقيقاي الصغيران سامي وأنس لا يعرفان أبي. أختي البالغة من العمر ١٦ عاماً تخشى لحظة لقاءها بأبي. هي تعتقد انها ستخجل منه ولن تحسن التعامل معه.» أوضح مروان وتابع: «لا أعتقد أن هناك بشر في أي مكان في العالم يعيشون ما نعيشه نحن الفلسطينيين من تجارب. المعتقلون في كل مكان يتمتعون بحقهم في تلقي زيارة أهلهم وأصدقاءهم لكن إسرائيل تحرم المعتقلين الفلسطينيين من هذا الحق. هل يُعقل أن تعتقل إسرائيل أبي وتحرمني أنا وإخوتي طيلة سنوات متواصلة من رؤيته؟»

على الرغم من أن مرور ثمان سنوات على اعتقال الأب إلا أن مروان ما زال يحمل الكثير من الذكريات الجميلة للأوقات التي جمعته وأبيه. «أذكر أن أبي كان دوماً يصطحبني معه إلى ملعب كرة القدم حيث كان يلعب مع أصدقائه. لقد كانت تلك الأوقات من أسعد لحظات حياتي.» تحدث مروان ثم أضاف: «أذكر أيضاً عدداً من القصص التي كان أبي يرويها لنا. كانت قصص دينية فيها الكثير من العبر والعظات وقد كان أبي يحكيها لنستفيد منها ونتعلم.»

لا تقتصر الالام التي تعتصر عائلة المعتقل الرخاوي على الآم الفراق فقط، فهناك الآلام التي تخلفها مشاعر قلقهم وخشيتهم على حياته جراء وضعه الصحي الخاص فالرخاوي يعاني من مرض الربو، وهو محتجز منذ سنوات في عيادة سجن الرملة الذي لا تتوفر فيه المعايير الدنيا المتصلة بمعاملة السجناء، وتحديداً، المرضى منهم. «نحن قلقون على وضع أكرم فصحته ليست على ما يرام. نفكر فيه طيلة الوقت خاصة عندما تردنا الأخبار عن إضرابات المعتقلين في سجون الاحتلال. لقد سبق وأن أضرب أكرم لمدة تجاوزت السبعين يوماً. كدنا نموت قلقاً وخوفاً عليه في تلك الفترة والله وحده

يعلم كيف تمر علينا هذه الأيام.» تحدثت نجاح الرخاوي، زوجة المعتقل أكرم وتابعت: «لقد تردى وضعه الصحي كثيراً خلال اعتقاله فهو الان يعاني من مرض السكر وهشاشة العظام وارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم، هذا بالإضافة للربو.»

يتألم مروان من فكرة أن أباه قد لا يعرفه عندما يراه فهما لم يلتقيا منذ أكثر من ثمانية أعوام. «تغيرت ملامحي كلياً عما كنت عليه عندما اعتقل أبي، ولم أعد ذلك الطفل الصغير. أدرك أيضاً أن ملامح أبي تغيرت عما كانت عليه وأتألم كلما تخيلت أنه لن يعرفنا ولن يتمكن من تمييزنا عندما يرانا. أعتقد أن عليّ وإخوتي أن نعد أنفسنا لجلسة تعارف مع أبينا الذي حرمتنا إسرائيل منه طيلة سنوات.» تحدث مروان وأضاف: «أريد ان أوجه كلمة أخيرة من خلالكم للعالم كله ولكل أنصار حقوق الإنسان في العالم. أقول لهم أين أنتم مما تقترفه إسرائيل بحقنا من جرائم وانتهاكات؟ إسرائيل اعتقلت أبي ولم تكتف باحتجازه في سجونها رغم مرضه بل حرمته من لقائنا وحرمتنا من زيارته. نحن نموت كل يوم مائة مرة من قلقنا على أبي وخشيتنا على حياته فأين هي حقوق الإنسان وأين هم دعاة هذه الحقوق؟»

لماذا تحرمني إسرائيل من أبي ؟

في العام ٢٠٠١، اعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيلي المواطن علاء أبو جزر، ٣٧ عاماً، من سكان رفح، وصدر عليه حكم بالسجن ١٨ عاماً. ولدت الطفلة الوحيدة لأبو جزر عقب اعتقاله بأشهر معدودة، ولم تتمكن طيلة السنوات الماضية من زيارته إلا مرة واحدة فقط.

جمانة أبو جزر: « أحلم باليوم الذي يمسك فيه أبي يدي ويصطحبني إلى مدرستي. أحلم بفستان جديد يشتريه لى أبي. أحلم بعيد يأتي علي أنا وجدتي وأبي معنا فهل هذا كثير؟ »

جمانة أبو جزر، ١٠ عام، هي الطفلة الوحيدة لأب تعتقله قوات الاحتلال منذ كانت هي جنيناً في بطن أمها. توفيت والدة جمانة بعد ولادتها بأيام ومنذ ذلك الوقت تعيش جمانة في كنف جدتها أم أبيها وحيدة، فلا أخ ولا أخت ولا أب ولا أم.

زارت جمانة والدها علاء أبو جزر، ٣٧ عاماً، المعتقل في سجون الاحتلال مرة واحدة قبل ٧ سنوات. ولم تتمكن من زيارته مجدداً بفعل ما تفرضه قوات الاحتلال الإسرائيلي من قيود مشددة وموانع على زيارات معتقلي قطاع غزة. «زرت أبي داخل المعتقل مرة واحدة فقط عندما كان عمري ثلاث سنوات لكنني أحتفظ بصورته داخل قلبي.» تحدثت الطفلة ببراءة ثم أضافت: «أعيش مع جدتي فقد ماتت أمي وأنا لا أخوة لي وكل أملي في هذه الحياة أن يخرج أبي من السجن لنعيش معاً.»

«لماذا تحرمني إسرائيل من أبي؟» تساءلت جمانة وأضافت:

«أنا مجرد طفلة صغيرة فلماذا يصّرون على منعي من زيارة أبي؟ هل أشكل خطراً عليهم؟ طيلة سنوات طويلة لم أتمكن من التمتع بحنان الأب لأن إسرائيل تعتقله ولم أتمكن حتى من رؤيته إلا مرة واحدة. هل تتخيلون ذلك؟ أبي حي داخل سجون إسرائيل لكنني غير قادرة على رؤيته أو زيارته. أنتظر الإفراج عنه على نار. ما زال أمامه ثماني سنوات حتى ينهي مدة محكوميته فهل سأظل محرومة من رؤيته طيلة هذه السنوات أيضاً؟»

جمانة وعلى الرغم من صغرها إلا أنها باتت مدركة لحقيقة أن حرمانها من لقاء والدها قد يتواصل حيث قالت: «توجهنا للصليب الأحمر ولمؤسسات حقوق الإنسان لكن أي منهم لم يتمكنوا من مساعدتنا. إسرائيل وحدها هي من تمتلك القرار لكن أبي والمعتقلين يناضلون بأمعائهم الخاوية لتحسين ظروف احتجازهم وللسماح لهم بتلقي زيارات أفراد عائلاتهم.» قالت جمانة وتابعت: «أطفال العالم في كل مكان ينعمون بحنان ابائهم وعطفهم إلا نحن في فلسطين محرومون حتى من أن نعيش حياة عادية مع آبائنا. أنا أحلم باليوم الذي أنام فيه قرب أبي وأستيقظ لأراه بجواري. أحلم باليوم الذي يمسك فيه أبي يدي ويصطحبني إلى مدرستي. أحلم بفستان جديد يشتريه لي أبي. أحلم بعيد يأتي علي أنا وجدتي وأبي معنا فهل هذا كثير؟»

تصر جمانة على الامتناع عن تناول وجبات الطعام كلما سمعت عن إضراب جديد يخوضه المعتقلون الفلسطينيون عن الطعام. وتشارك جمانة بشكل دوري في الاعتصامات التي ينظمها ذوو المعتقلين الفلسطينيين أمام مقرات الهيئة الدولية للصليب الأحمر. «مشاركتنا في الإضراب عن الطعام هي أقل ما يمكننا أن نقدمه للمعتقلين. لا أحتمل فكرة أن آكل بينما أبي جائع ومضرب عن الأكل.» أوضحت جمانة وتابعت: «كلما فكرت في ظروف أبي داخل المعتقل أشعر بالحزن. ظروف المعتقلين صعبة للغاية وهذا ما يدفعهم للامتناع عن الأكل. زنازينهم باردة وضيقة. وهم عرضة للتعذيب وسوء المعاملة.»

تقضي جمانة معظم وقتها في مذاكرة دروسها وتحصل عادة على درجات عالية فهي متفوقة ومصرة على التفوق: «أدرس جيداً لأن نجاحي يسعد أبي. أريد أن أكون سبباً في إدخال البهجة على قلبه لذلك أدرس وأحصل على درجات عالية. أحتفظ بشهاداتي كي يراها عندما يخرج من السجن.» قالت جمانة فيما سالت دموعها وهي تضيف: «أتمنى أن تفرج إسرائيل عن أبي قريباً. لا يمكنني أن أتخيل حياتي بدونه لثماني سنوات قادمة. هذا صعب وقاسي.»

أم المعتقل علاء، التي تعيش جمانة في كنفها، تحدثت عن المعاناة التي تعيشها الطفلة قائلة: «جمانة تعيش مرارة اليتم وآلامه رغم أن أبوها حي يرزق. ماتت أمها وهي طفلة عمرها أيام فجمانة لم تعرف لا حنان الأم ولا حنان الأب.» صمتت الجدة وبدت علامات الحزن جلية على وجهها المجعد وهي تضيف: «لا يكاد يمر يوم إلا وتتحدث جمانة عن أبيها. تسألني عنه باستمرار وتفرح كلما حدثتها عنه وهو صغير. ماذا يحب وماذا يكره. تتوق دوماً لسماع المزيد

عنه. هي بالكاد تعرفه فلم تزره إلا مرة ولم تكن مدركة. كان عمرها ٣ سنوات فقط ومنذ ذلك الوقت لم تسمح لها سلطات الاحتلال بالزيارة فهل تشكل طفلة مثلها خطراً على أمن إسرائيل بما يستدعي حرمانها حتى من زيارة أبيها داخل السجن؟».

المعتقلون المفرج عنهم ما بين الحين والآخر هم سبيل جمانة الوحيد للاطلاع على وضع أبيها وظروفه. «كلما سمعنا عن معتقل خرج من السجن نتوجه أنا وجدتي لزيارته في منزله. من هؤلاء المعتقلين نتقصى الأخبار عن أبي وظروفه داخل السجن.» تحدثت الطفلة وأضافت: «بعض هؤلاء المعتقلين يحمل لنا رسائل من أبي. أنا أعيش على أمل تلقي هذه الرسائل فهي صلة الوصل الوحيدة التي تصلني بأبي. أتأمل كل حرف وكل كلمة وأتخيله وهو يخط الكلمات فأشعر بالفرح. أشعر أنني أراه من خلال رسائله لكن هذه الرسائل قليلة جداً لأن المعتقلين يكتبونها سراً. حتى الرسائل محظورة وممنوعة.»

تمر الأيام على جمانة وجدتها متشابهة وبطيئة وتنتظر كلتاهما لحظة لقاء قد لا يكون قريباً فيما تعاني جمانة أيضاً جراء خشيتها على جدتها المريضة. «نعيش أنا وجدتي حياة هادئة وبسيطة. حياتنا عادية لا يعكر صفوها إلا غياب أبي وشوقنا له وألم انتظار لقائنا به.» قالت جمانة وتابعت: «أشعر بخوف شديد كلما مرضت جدتي. لا أعرف طعم النوم عندما تمرض. أخشى أن تتركني هي أيضاً كما تركتني أمي وكما فعل أبي.»

جمعية الأسرى والمحررين حسام

رابعاً: الخسارة الناجمة عن فقدان المسكن

الحياة بلا مأوى 56
الشهادة الشخصية للطفلة أمسيات عواجة

أربع سنوات من التنقل المتكرر 59
الشهادة الشخصية للطفل خالد الجمل

الحياة دون مأوى

أقدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي في ٤ يناير ٢٠٠٩، على هدم منزل المواطن كمال عواجة في بيت لاهيا دون تحذير مسبق. فر سكان المنزل عندما باشرت البلدوزرات الإسرائيلية بهدمه إلى قطعة أرض مجاورة، وعندما حاولت العائلة أن تعود للمنزل لجمع حاجياتها عقب هدمه، أطلقت قوات الاحتلال الإسرائيلي النيران تجاههم ما أسفر عن مقتل الطفل إبراهيم، ٩ اعوام، وإصابة عدد من أفراد العائلة بينهم الأب والأم، بجراح متفاوتة.

أمسيات عواجة: « كنت أهوى رسم الورود أما الان فحتى عندما أنوي رسم وردة أجد يدي تلقائياً ترسم دبابة أو خيمة أو بيتاً مدمراً »

بيت صغير من الطين يتقدمه فناء أصغر ... أكوام من اواني وأدوات الطبخ متناثرة هنا وهناك ... عدة رزم من الكتب والقصص تستند على جدار منزل بالكاد يستوعب قاطنيه في مشهد يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأن القاطنين هنا لم يتذوقوا طعم الاستقرار بعد. تلك هي الصورة التي بدا عليها المنزل الذي تسكنه الطفلة أمسيات كمال عواجة، ١٥ عاماً. المنزل بنته وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين كبديل مؤقت للعائلة عن منزلها الذي دمرته قوات الاحتلال الإسرائيلي خلال عملية الرصاص المصبوب على قطاع غزة قبل أكثر من ثلاث سنوات. «قبل الانتقال لهذا المنزل الذي ترونه عشنا في الخيمة قرابة عامين متواصلين أدركنا خلالهما بالضبط ما الذي يعنيه كون الشخص مشرد لا منزل له». تحدثت أمسيات بوضوح وطلاقة يفوقان المتوقع ممن هم في سنها وأضافت: «لم نتأقلم على الحياة في خيمة بسرعة. استغرقنا وقتاً طويلاً لنعتاد خاصة أننا كنا نقطن في منزل كبير تتوفر فيه معظم الكماليات».

كمال عواجة، الأب، ٥١ عاماً، كان قد سخر كل ما توفر له من إمكانيات لا يمكن إلا ان توصف بالمحدودة، ليخلق لأطفاله داخل خيمة اللجوء بيئة مشابهة لبيئتهم الأصلية في منزلهم الذي هدمته قوات الاحتلال فوفقاً لأمسيات «زود أبي الخيمة بخط إنترنت واشترى لنا كمبيوتر كما وفر لنا معظم الأجهزة الكهربائية التي كنا نقتنيها في منزلنا لكنه للأسف لم يتمكن من بناء منزل جديد لأن البناء مكلف جداً. بنت لنا الأونروا هذا المنزل المؤقت وقد أبلغوا أبي مؤخراً أنهم بصدد هدمه لبناء منزل دائم وها نحن نستعد لنعود للخيام مجدداً».

كلمات أمسيات فسرت لنا حالة الفوضى التي بدا عليها منزلهم الطيني حيث تم تقريباً تفريغه من محتوياته تمهيداً لمغادرته، وذلك بناء على طلب من الأونروا التي أبلغت العائلة بنيتها بناء منزل دائم مكان هذا المنزل المؤقت. مجدداً، ستنتقل العائلة لتقطن الخيام مرة أخرى لحين الانتهاء من بناء المنزل الدائم. «رغم أنني أدرك وعن تجربة قساوة العيش في الخيام إلا أن فكرة أننا سنعود للخيمة مجدداً لا تقلقني. بالمقارنة مع مررنا به تبدو الخيام ترف». صمتت أمسيات وأشاحت ببصرها بعيداً قبل ان تواصل حديثها: «في الأيام الأولى للحرب على غزة كنت وإخوتي نلعب ونمرح لأننا لم نكن نفهم ما الذي تعنيه الحرب وما الذي يعنيه القصف. كنا كذلك إلى ان اختطفت الحرب شقيقي إبراهيم في حادث لن انسى تفاصيله البشعة ما حييت».

فاجعة عائلة عواجة بدأت عندما أقدمت قوات الاحتلال في ٤ يناير ٢٠٠٩، على هدم منزلهم. لم تعط تلك القوات أي تحذير قبل بدء أعمال الهدم، حتى أن أفراد العائلة فروا من المنزل إلى أرض زراعية مجاورة بينما كان عدد من جدرانه يتساقط بفعل ضربات الجرافات الإسرائيلية. عقب انتهاء أعمال هدم المنزل آثرت الأم، وفاء عواجة، ٣٦ عاماً، أن تعود لتجمع ما يمكن جمعه من غيارات وملابس لأطفالها من بين الأنقاض. رافقها إلى هناك ثلاثة من أبنائها وثلاثتهم تحت الثالثة عشر: إبراهيم، ضياء، وصبحي، ليبدأ فصل جديد من فصول معاناة لا توصف.

أمسيات، استحضرت تفاصيل ما جرى قائلة: «أصيب شقيقي إبراهيم أول إصابة وكانت في خاصرته. صرخت أمي فتوجه أبي إليها وحمل شقيقي وخرجوا معاً يتقدمهم أبي. كان يصرخ: طفلي مصاب. نريد إسعاف. جنود الاحتلال كانوا في المنطقة. ردوا على استغاثاته بضحكات متقطعة ثم بعدد من الرصاصات فأصيب أبي وأصيبت أمي أيضاً. ظل أبي مرمياً في الشارع وبجواره إبراهيم وزحفت أمي حتى وصلت إلينا أنا وإخوتي حيث كنا نحتمي خلف جدار. شاهدنا جنود الاحتلال يقتربون ويطلقون الرصاص على إبراهيم وعلمنا من أبي أنه مات».

يعتصر أمسيات شعوراً قاسياً بالندم وهو شعور لا يكاد يفارقها بل إنه كان طيلة السنوات الثلاث المنصرمة ولا زال، المنغص الأول لحياتها فأمسيات ورغم صغر عمرها إلا أنها تصر على تحميل نفسها ذنب موت شقيقها لعزوفها عن التدخل لتقديم المساعدة له بشكل او بآخر. «عندما أصيب أبي وأمي وإبراهيم، أنا كنت الأكبر بين إخوتي إلا أنني وقفت

عاجزة عن فعل شيء. لا أستطيع أن أنسى ما جرى، واتألم بشدة كلما تذكرت أنني لم أحاول تقديم المساعدة. فكرة أن تدخلي بشكل ما ربما كان سيغير شيئاً وينقذ أخي لا تفارقني، وهي تسبب لي مغصاً وألماً في بطني ومعدتي. ربما لو حاولت أن أسحب إبراهيم مثلاً بعيداً عن مرمى نيران قوات الاحتلال لكان حياً يرزق إلى الآن. أنا نادمة وحزينة لأنني وقفت عاجزة ولأن خوفي منعني من القيام بعمل أي شيء لمساعدة شقيقي».

تأثرت أمسيات وبشدة بالأحداث القاسية التي مرت بها العائلة والتي أدت في محصلتها إلى فقدانها شقيقها، وتحويل عائلتها إلى عائلة مشردة لا تجد بيتاً يأويها، فوفقاً لوالدها كمال: «عانت أمسيات كثيراً عقب موت شقيقها وهدم منزلنا. استغرقت وقتاً طويلاً لتتأقلم على حياتنا الجديدة في الخيمة ثم في منزل الطين هذا وكلاهما لا يقارنان بمنزلنا وبما كنت أوفره لأطفالي فيه». وأضاف: « طفلي أعدم، ومنزلي تم تدميره، وتحولت من أب يوفر لأسرته أفضل ما بالإمكان إلى أب عاجز حتى عن توفير منزل مناسب لعائلته. حياتنا انقلبت رأساً على عقب. باتت مجرد أيام تحصى لكنها بلا لون ولا طعم ولا رائحة. هذا إحساسنا جميعاً ولم تساعدنا جلسات العلاج النفسي التي خضعنا لها في التخلص منه. نتشارك أنا وزوجتي وأطفالي مشاعر قهر لا توصف بدلتنا جميعاً وغيرتنا».

امسيات التي كانت تهوى رسم المناظر الطبيعية باتت اليوم لا ترسم إلا مشاهد الموت والدمار. حلت الطائرات والصواريخ محل الورود والفراشات في لوحات امسيات التي تحدثت عن هذه الجزئية قائلة: «لم أعد أرى أي جمال حولي. ولم أعد أجيد إلا رسم الطائرات والدبابات ومشاهد تشييع الجثامين. كنت أهوى رسم المناظر الطبيعية. كانت كل لوحاتي عبارة عن ورود وفراشات وأشجار أما الآن فحتى عندما أنوي رسم وردة اجد يدي تلقائياً ترسم دبابة أو خيمة أو بيتاً مدمراً».

أربع سنوات من التنقل المتكرر!!

بتاريخ ٥ يناير ٢٠٠٩، قصفت طائرات قوات الاحتلال الإسرائيلي منزلاً تعود ملكيته لأحد النشطاء الفلسطينيين في رفح. أسفر القصف عن تدمير المنزل المستهدف وتدمير عدد من المنازل المجاورة ومن بينها منزل المواطن محمد الجمل، ٣٣ عاماً، الذي عانى وأسرته المكونة من والدته، زوجته، وأربعة أطفال، طيلة سنوات جراء فقدان المأوى.

خالد الجمل: « لقد تنقلنا من منزل إلى آخر مرات متعددة وحتى اللحظة لم أُكوّن صداقات جديدة. هذا أمر محزن »

لم يذق خالد الجمل، ١٠ اعوام، وأشقاؤه، هبة، ٧ سنوات، لمياء، ٥ سنوات، وعبدالله، ٣ سنوات، طعم الاستقرار منذ هدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي منزل عائلته قبل نحو أربع سنوات فقد اضطرت العائلة للتنقل مرات متعددة بين عدد من المنازل في جملة من الأحياء السكنية في مدينة رفح خلال رحلة البحث عن أفضل الخيارات لسكن بديل.

الأب الشاب، محمد الجمل، ٣٣ عاماً، كان قد اضطر لترك منزله في منتصف ليلة باردة من ليالي ديسمبر ٢٠٠٨، عندما تناهى إلى مسامعه بأن أحد البيوت المحاذية مستهدف من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي. ما خشي منه الأب، وقع، حيث قصفت قوات الاحتلال المنزل المستهدف ما أدى لتدمير عدد من المنازل المجاورة، ومن بينها المنزل الذي شهد مولد خالد والسنوات الأولى من طفولته. «أذكر جيداً كيف حملنا أبي ليلاً وخرجنا جميعاً من منزلنا. هربنا من القصف وعندما عدنا لزيارة المنزل لم نجده. كان الركام في كل مكان». تحدث خالد بخجل أضاف: «كنت صغيراً لكنني أذكر ما جرى. منذ ذلك الوقت لم يعد لنا بيت.»

واجه خالد صعوبات عدة فيما يتعلق بتعامله مع المستجدات التي فرضها تدمير منزل العائلة على كافة أفرادها. أبرز هذه الصعوبات تمثلت في افتقاده لمدرسته، الحي السكني الذي اعتاد عليه، ورفاقه وأصحابه من أبناء عمومته وأبناء الجيران، فهدم المنزل أبعده عن هؤلاء كلهم، ليجد نفسه بين ليلة وضحاها، في حي سكني جديد، حيث لا أصدقاء ولا معارف. « كنت أحب منزلنا كثيراً. هناك، كان لي الكثير من الأصدقاء من أقاربنا وأبناء الجيران. أشتاق لهم جميعاً فقد اعتدنا على اللعب سوية وكنا نقضي الكثير من الوقت معاً.» قال خالد ثم تابع: «لقد تنقلنا من منزل إلى آخر مرات متعددة وحتى اللحظة لم أُكوّن صداقات جديدة. هذا أمر محزن.»

على سطح المنزل الذي تم تدميره، اعتاد خالد ووالده أن يمارسا هواية مشتركة فقد كانا يقضيان الكثير من الوقت في رعاية عدة أنواع من الطيور التي يقتنيها الأب. لم يتمكن خالد من ممارسة هوايته خلال السنوات الأربع التي تلت تدمير منزلهم بفعل التنقل المتكرر من منزل لاخر. «اعتدت أنا وأبي ان نصعد إلى سطح المنزل يومياً. كنا نقضي ساعات عديدة في رعاية الطيور وإطعامها والحفاظ على نظافة الأقفاص. مضت فترة طويلة دون أن نفعل ذلك لأن تنقلنا من منزل لاخر حال دون تمكن أبي من بناء أقفاص جيدة.» أوضح خالد فيما التقط والده محمد أطراف الحديث منه مضيفاً: «رعاية الطيور والاهتمام بها يتطلبان الاستقرار لأن بناء الأقفاص وتجهيزها مكلف كما أنه من غير الممكن نقل هذه الأقفاص من مكان لمكان. هدم منزلنا واضطرارنا للتنقل من منزل لآخر حالا دون ممارستنا لهذه الهواية وهو ما افتقده خالد.»

خالد، وعلى الرغم من صغر عمره إلا أنه يصر على تجاذب أطراف الحديث مع والده عما تعرض له منزلهم وعما جرى. «أنا لا أعرف لماذا دمر الاحتلال منزلنا. أسأل أبي دوماً عما حدث وأحاول أن أفهم. أفكر أحيانا بأنه لم يكن علينا أن نغادر المنزل وأسأل نفسي ما الذي كان سيحدث لو لم نغادره؟» تحدث خالد وأضاف: «خلال الفترة الماضية تضايقت كثيراً لأننا تنقلنا من منزل لآخر. كنت أتنقل أيضاً من مدرسة لأخرى وهذا أمر مزعج.»

يعتبر محمد الجمل تجربة التنقل المتكرر التي مر بها وأفراد عائلته تجربة صعبة. ويقر بأن هذه التجربة ألقت بتبعاتها على خالد وأشقائه، فجميعهم عانوا من صعوبة التأقلم مع الظروف الجديدة ولم يتمكنوا من الاندماج بسهولة. «أطفالي أطفال اجتماعيون. خالد تحديداً مرح واجتماعي لكنه عانى كثيراً خلال السنوات الماضية لأننا كنا دائمي التنقل من منزل لاخر فحظنا لم يسعفنا في العثور على منزل ملائم بسرعة.» تحدث الأب وتابع: «الكبار يواجهون صعوبات فيما يتعلق بالتأقلم مع الأماكن الجديدة فما بالنا بالأطفال.»

مؤخراً، وتحديداً في ١٥ اكتوبر ٢٠١٢، أي بعد أربع سنوات من التنقل المتكرر، انتقل خالد وأفراد عائلته لمنزلهم الجديد الذي تم بناؤه بتمويل من وكالة الغوث كبديل عن منزلهم المدمر. «ليس لي الكثير من الأصدقاء هنا لكنني سأبني صداقات جديدة.» قال خالد وأضاف: «بدأ أبي بتجهيز أقفاص الطيور وأنا سعيد لأننا سنمارس هوايتي المفضلة مجدداً.»

المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

يناير ٢٠١٣